كيف نستمطر الرحمات الربانية؟

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

ابن عثمان

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

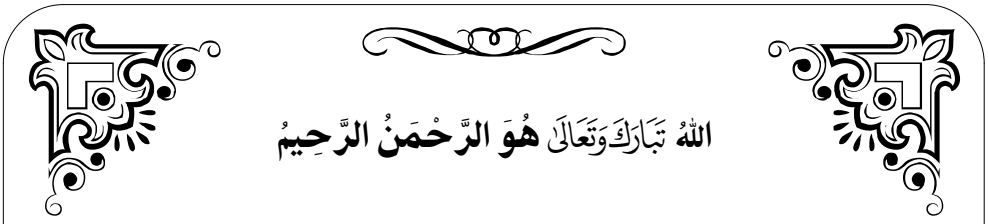

«فَإِنَّ اللهَ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي رَحْمَتِهِ، وَأَحْسَنَ إِلَىٰ خَلْقِهِ بِأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ، وَتَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ بِصُنُوفِ النِّعَمِ، وَوَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا، وَأَوْسَعَ كُلَّ مَخْلُوقٍ نِعْمَةً وَفَضْلًا؛ فَوَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَوَسِعَتْ نِعْمَتُهُ كُلَّ حَيٍّ، وَعَمَّ إِحْسَانُهُ الْبَرَايَا، وَوَصَلَ جُودُهُ إِلَىٰ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ؛ فَلَا تَسْتَغْنِي عَنْ إِحْسَانِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ وَلَا أَقَلَّ مِنْهَا، فَبَلَغَتْ رَحْمَتُهُ حَيْثُ بَلَغَ عِلْمُهُ؛ قَالَ رَبُّنَا ﷻ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، فَبَلَغَتْ رَحْمَتُهُ حَيْثُ بَلَغَ عِلْمُهُ.

وَأَخْبَرَنَا -سُبْحَانَهُ- أَنَّهُ ذُو الرَّحْمَةِ؛ فَكَانَ صَاحِبَ الرَّحْمَةِ الْحَقِيقِيَّةِ الْعَظِيمَةِ الْوَاسِعَةِ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ [الأنعام: ١٤٧].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨].

فَلَا مَخْلُوقَ إِلَّا وَقَدْ وَصَلَتْ إِلَيْهِ رَحْمَةُ اللهِ، وَغَمَرَهُ فَضْلُهُ -تَعَالَىٰ- وَإِحْسَانُهُ»(١).

---

(١) «**الصلاة**» لابن القيم: (ص١٤٣)، بتصرف يسير.

وَسَمَّىٰ جَلَّوَعَلَا نَفْسَهُ «الرَّحْمَنَ»، وَهَذَا الِاسْمُ دَالٌّ عَلَىٰ سَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَعُمُومِ إِحْسَانِهِ، وَجَزِيلِ بِرِّهِ، وَوَاسِعِ فَضْلِهِ»(١).

«وَ«الرَّحْمَنُ»: دَالٌّ عَلَىٰ الصِّفَةِ الْقَائِمَةِ بِهِ -سُبْحَانَهُ-.

وَ«الرَّحِيمُ»: دَالٌّ عَلَىٰ تَعَلُّقِهَا بِالْمَرْحُومِ، فَـ«الرَّحْمَنُ» لِلْوَصْفِ، وَ«الرَّحِيمُ» لِلْفِعْلِ.

فَـ«الرَّحْمَنُ»: دَالٌّ عَلَىٰ أَنَّ الرَّحْمَةَ صِفَتُهُ، وَ«الرَّحِيمُ»: دَالٌّ عَلَىٰ أَنَّهُ يَرْحَمُ خَلْقَهُ، قَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، وَلَمْ يَجِئْ قَطُّ رَحْمَنٌ بِهِمْ؛ فَعُلِمَ أَنَّ «الرَّحْمَنَ»: هُوَ الْمَوْصُوفُ بِالرَّحْمَةِ، وَ«الرَّحِيمَ»: هُوَ الرَّاحِمُ بِرَحْمَتِهِ»(٢)؛ كَثِيرُ الرَّحْمَةِ، عَظِيمُهَا، بَلِيغُهَا وَوَاسِعُهَا.

وَرَحْمَةُ اللهِ جَلَّوَعَلَا عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ.

فَأَمَّا الْعَامَّةُ: فَهِيَ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ، فَكُلُّ الْخَلْقِ مَرْحُومُونَ بِرَحْمَةِ اللهِ، وَلَوْ لَا رَحْمَةُ اللهِ مَا أَكَلُوا وَمَا شَرِبُوا، وَمَا اكْتَسَوْا وَمَا سَكَنُوا؛ وَلَكِنَّ اللهَ رَحِمَهُمْ؛ فَهَيَّأَ لَهُمْ مَا تَقُومُ بِهِ أَبْدَانُهُمْ مِنَ الْمَعِيشَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ؛ فَهَذِهِ هِيَ الرَّحْمَةُ الْعَامَّةُ.

وَأَمَّا رَحْمَتُهُ الْخَاصَّةُ: فَهِيَ خَاصَّةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ تَسْتَمِرُّ رَحْمَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فَفِي الدُّنْيَا رَحِمَهُمُ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِحُصُولِ مَا تَقُومُ بِهِ أَبْدَانُهُمْ،

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص٨٢٨).

(٢) «بدائع الفوائد»: (١/ ٢٤).

وَفِي الْآخِرَةِ رَحِمَهُمُ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِحُصُولِ مَا تَقُومُ بِهِ أَدْيَانُهُمْ.

«وَرَحْمَتُهُ -سُبْحَانَهُ- مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ؛ كَعِلْمِهِ، وَقُدْرَتِهِ، وَحَيَاتِهِ، وَسَمْعِهِ، وَبَصَرِهِ، وَإِحْسَانِهِ، فَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ خِلَافِ ذَلِكَ.

وَلَيْسَ كَذَلِكَ غَضَبُهُ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ، وَلَا يَكُونُ غَضْبَانًا دَائِمًا غَضَبًا لَا يُتَصَوَّرُ انْفِكَاكُهُ، بَلْ يَقُولُ رُسُلُهُ وَأَعْلَمُ الْخَلْقِ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا فِي «حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ» -وَهُوَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1]-: «**قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ**».

كَذَا يَقُولُ الْأَنْبِيَاءُ فِي الْمَوْقِفِ عِنْدَمَا يَطْلُبُ الْخَلْقُ مِنْهُمُ الشَّفَاعَةَ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِبَدْءِ الْحِسَابِ؛ فَيَقُولُ كُلٌّ: «**إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**».

فَالْغَضَبُ مِنْ صِفَاتِ الْفِعْلِ، وَلَيْسَ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ، وَصِفَةُ الْفِعْلِ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْمَشِيئَةِ، صِفَاتُ الْفِعْلِ هِيَ الَّتِي إِذَا شَاءَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَتَىٰ بِهَا، وَإِذَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَأْتِ بِهَا، فَهَذِهِ صِفَاتُ الْفِعْلِ، وَمِنْهَا: الْغَضَبُ، وَمِنْهَا: الضَّحِكُ، وَمِنْهَا: الرِّضَا، وَمِنْهَا: النُّزُولُ، وَمِنْهَا: الِاسْتِوَاءُ؛ فَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْمَشِيئَةِ، فَكُلُّ صِفَةٍ تَعَلَّقَتْ بِالْمَشِيئَةِ فَهِيَ مِنْ صِفَاتِ الْفِعْلِ.

---

(١) «**صحيح البخاري**»: (٨/ ٣٩٥ - ٣٩٦، رقم ٤٧١٢)، و «**صحيح مسلم**»: (١/ ١٨٤ - ١٨٦، رقم ١٩٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَأَمَّا صِفَاتُ الذَّاتِ: فَهِيَ لَا يَنْفَكُّ عَنْهَا اتِّصَافُ الذَّاتِ بِهَا، وَلَا تَنْفَكُّ هِيَ عَنِ الذَّاتِ، صِفَاتُ الذَّاتِ لَا تَنْفَكُّ عَنْ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِحَالٍ، فَهِيَ مُلَازِمَةٌ لِلذَّاتِ، وَمِنْهَا: صِفَةُ الرَّحْمَةِ؛ فَإِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وَأَمَّا صِفَةُ الْغَضَبِ فَهَذِهِ صِفَةُ فِعْلٍ، وَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْمَشِيئَةِ، فَإِذَا وُجِدَ سَبَبُهَا وَغَضِبَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَهَذِهِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْفِعْلِ، لَا يَكُونُ غَضْبَانًا دَائِمًا غَضَبًا لَا يُتَصَوَّرُ انْفِكَاكُهُ؛ بَلْ «**إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**».

رَحْمَةُ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَغَضَبُهُ لَمْ يَسَعْ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ -سُبْحَانَهُ- كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ، وَلَمْ يَكْتُبْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الْغَضَبَ، وَوَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا، وَلَمْ يَسَعْ كُلَّ شَيْءٍ غَضَبًا وَانْتِقَامًا»[1]، -سُبْحَانَهُ- هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ.

وَهَذَا هُوَ اللَّائِقُ اللَّيِّقُ بِشَأْنِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَكُنَّا جَمِيعًا خَاسِرِينَ هَالِكِينَ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ غَضَبِ اللهِ، وَمِنْ سَخَطِهِ، وَمِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَرْجُو رَحْمَتَهُ، وَكَرَمَهُ، وَفَضْلَهُ، وَلُطْفَهُ.

فَسُبْحَانَ رَبِّيَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الَّذِي عَمَّتْ رَحْمَتُهُ أَهْلَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، وَوَسِعَتْ جَمِيعَ الْخَلْقِ فِي كُلِّ الْآنَاتِ وَاللَّحَظَاتِ، وَسَعَةُ رَحْمَتِهِ تَتَضَمَّنُ أَنَّهُ لَا يَهْلِكُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ تَوْحِيدِهِ وَمَحَبَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ وَاسِعُ الرَّحْمَةِ،

---

(١) «**الفوائد**»: (ص١٨١-١٨٢).

لَا يَخْرُجُ عَنْ دَائِرَةِ رَحْمَتِهِ إِلَّا الْأَشْقِيَاءُ الْمَحْرُومُونَ، وَلَا أَشْقَىٰ مِمَّنْ لَمْ تَسَعْهُ رَحْمَتُهُ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.

يَكْفِيكَ مَنْ وَسِعَ الْخَلَائِقَ رَحْمَةً وَكِفَايَةً ذُو الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ(١)

قَالَ رَبُّنَا جَلَّوَعَلَا **-وَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ-:** ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ**﴾ [الأنعام: ٥٤].

وَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللهِ، وَهُوَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ وَلَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ، وَهُوَ خَبَرٌ مِنْهُ لِعِبَادِهِ، وَهُوَ صَادِقُ الْمَقَالِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، إِنَّهُ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَخَيْرُ الرَّاحِمِينَ، وَرَحْمَتُهُ: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ خَيْرٍ، أَرْحَمُ بِنَا مِنْ كُلِّ رَاحِمٍ، أَرْحَمُ بِنَا مِنْ آبَائِنَا، وَأُمَّهَاتِنَا، وَأَوْلَادِنَا، وَأَنْفُسِنَا.

«فَكُلُّ رَاحِمٍ لِلْعَبْدِ فَاللهُ أَرْحَمُ بِهِ مِنْهُ؛ إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، لَوْ جُمِعَتْ رَحَمَاتُ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ لَكَانَتْ رَحْمَةُ اللهِ أَشَدَّ وَأَعْظَمَ، وَمَا تَبْلُغُ هَذِهِ الرَّحْمَاتُ مِنْ رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ وَمَعَهُ صَبِيٌّ، فَجَعَلَ يَضُمُّهُ إِلَيْهِ؛ رَحْمَةً بِهِ وَحَنَانًا وَبِرًّا.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَتَرْحَمُهُ؟**».

قَالَ: نَعَمْ.

---

(١) البيت لابن القيم في نونيته: «**الكافية الشافية**»: (٣/ ٩٠٢)، البيت رقم (٤٨٢٦).

قَالَ: «**فَاللهُ أَرْحَمُ بِكَ مِنْكَ بِهِ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**»(١). وَهَذَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

أَرْحَمُ مَا يَكُونُ مِنَ الْخَلْقِ بِالْخَلْقِ: الْأُمُّ بِوَلَدِهَا؛ فَإِنَّ رَحْمَةَ الْأُمِّ وَلَدَهَا لَا يُسَاوِيهَا شَيْءٌ مِنْ رَحْمَةِ النَّاسِ أَبَدًا؛ حَتَّىٰ الْأَبُ لَا يَرْحَمُ أَوْلَادَهُ مِثْلَ أُمِّهِمْ فِي الْغَالِبِ.

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَدِمَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَحْلِبُ تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟**».

قُلْنَا: لَا -وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَىٰ أَلَّا تَطْرَحَهُ-.

فَقَالَ: «**اللهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**»(٢). وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

وَأَيْنَ تَقَعُ رَحْمَةُ الْوَالِدَةِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ؟! فَهُوَ أَرْحَمُ بِالْعَبْدِ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا الرَّفِيقَةِ بِهِ فِي حَمْلِهِ، وَرَضَاعِهِ، وَفِصَالِهِ.

---

(١) أخرجه البخاري في «**الأدب المفرد**»: (ص ١٣٧، رقم ٣٧٧)، والبزار في «**المسند**»: (١٧/ ١٥٤، رقم ٩٧٦١)، والنسائي في «**السنن الكبرىٰ**»: (٧/ ١٤٦، رقم ٧٦٦٤)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: (٩/ ٣٣٧ و ٣٣٨، رقم ٦٧٣٢).

والحديث صححه الألباني في «**صحيح الأدب المفرد**»: (ص ١٥٠، رقم ٢٩٠).

(٢) «**صحيح البخاري**»: (١٠/ ٤٢٦ - ٤٢٧، رقم ٥٩٩٩)، و «**صحيح مسلم**»: (٤/ ٢١٠٩، رقم ٢٧٥٤).

كُلُّ الرَّاحِمِينَ إِذَا اجْتَمَعَتْ رَحَمَاتُهُمْ كُلِّهِمْ؛ فَلَيْسَتْ بِشَيْءٍ عِنْدَ رَحْمَةِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَيَدُلُّكَ عَلَىٰ هَذَا قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ -وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١)- قَالَ ﷺ: «**جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ؛ حَتَّىٰ تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ**»»(٢).

هَذِهِ هِيَ الرَّحْمَةُ الَّتِي هِيَ صِفَةُ فِعْلٍ.

وَأَمَّا الرَّحْمَةُ مِنْ حَيْثُ هِيَ صِفَةُ ذَاتٍ؛ فَإِنَّهَا لَا تَنْقَسِمُ، فَالرَّحْمَةُ صِفَةُ ذَاتٍ بِاعْتِبَارِ تَعَلُّقِهَا بِالذَّاتِ؛ حَيْثُ لَا تَنْفَكُّ عَنِ الذَّاتِ، وَلَا تَنْفَكُّ عَنْهَا الذَّاتُ، وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ تَعَلُّقُ الرَّحْمَةِ بِالْمَشِيئَةِ، وَإِعْمَالُ هَذِهِ الرَّحْمَةِ لِمَنْ يَرْحَمُهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ فَهَذِهِ صِفَةُ فِعْلٍ، فَهِيَ هُنَا مُتَعَلِّقَةٌ بِالْمَشِيئَةِ.

هُنَاكَ صِفَاتٌ تَكُونُ صِفَةَ ذَاتٍ بِاعْتِبَارٍ وَصِفَةَ فِعْلٍ بِاعْتِبَارٍ:

صِفَةُ الْخَلْقِ: صِفَةُ ذَاتٍ بِاعْتِبَارِ تَعَلُّقِهَا بِالذَّاتِ، فَذَاتُ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَوْصُوفَةٌ بِصِفَةِ الْخَلْقِ وَلَا مَخْلُوقَ، فَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَظِيمُ، وَلَهُ

---

(١) «**صحيح البخاري**»: (١٠/ ٤٣١، رقم ٦٠٠٠)، و«**صحيح مسلم**»: (٤/ ٢١٠٨، رقم ٢٧٥٢)، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي رواية للبخاري: (١١/ ٣٠١، رقم ٦٤٦٩): «...، **فَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ المُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ العَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ**».

(٢) «**شرح العقيدة الواسطية**» ضمن مجموع فتاوىٰ ورسائل العثيمين: (٨/ ٢١١)، بتصرف يسير.

هَذِهِ الصِّفَةُ الْعَظِيمَةُ، وَأَمَّا عِنْدَ خَلْقِ الْخَلْقِ وَبَرْئِهِمْ، وَتَعَلُّقِ هَذِهِ الصِّفَةِ بِالْمَشِيئَةِ بِخَلْقِهِمْ؛ فَهِيَ -حِينَئِذٍ- تَكُونُ صِفَةَ فِعْلٍ.

كَذَلِكَ صِفَةُ الْكَلَامِ: فَذَاتُ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَوْصُوفَةٌ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، وَأَمَّا إِذَا تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ جَلَّ وَعَلَا وَبِمَا شَاءَ مِنْ أَمْرٍ ﷻ؛ فَهِيَ صِفَةُ فِعْلٍ؛ لِتَعَلُّقِ الصِّفَةِ بِالْمَشِيئَةِ.

هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي مَعَنَا: فِيهِ انْقِسَامُ صِفَةِ الرَّحْمَةِ إِلَىٰ مِائَةِ جُزْءٍ، جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ فِي مِائَةِ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ؛ حَتَّىٰ تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ.

صِفَةُ الْفِعْلِ: هِيَ الَّتِي تَقْبَلُ هَذِهِ الْقِسْمَةَ.

وَأَمَّا صِفَةُ الذَّاتِ؛ فَهِيَ مَوْصُوفٌ بِهَا الذَّاتُ، لَا تَنْفَكُّ عَنِ الذَّاتِ، وَلَا تَنْفَكُّ عَنْهَا الذَّاتُ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ يَسِيرٍ مِنْ سِلْسِلَةِ: «مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّالِثَةُ) - الْأَحَدُ ١٣ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٣هـ| ٣-٦-٢٠١٢م.

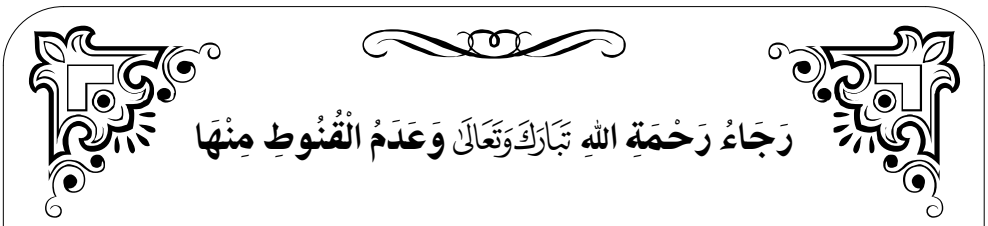

رَجَاءُ رَحْمَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَعَدَمُ الْقُنُوطِ مِنْهَا

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨].

«الْأَمْرُ بِإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ مَعَ الْقُدْرَةِ وَالْغِنَىٰ، أَمَّا مَعَ الْعُدْمِ أَوْ تَعَسُّرِ النَّفَقَةِ الْحَاضِرَةِ؛ فَأَمَرَ -تَعَالَىٰ- أَنْ يُرَدُّوا رَدًّا جَمِيلًا، فَقَالَ: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ أَيْ: تُعْرِضْ عَنْ إِعْطَائِهِمْ إِلَىٰ وَقْتٍ آخَرَ تَرْجُو فِيهِ مِنَ اللهِ تَيْسِيرَ الْأَمْرِ.

﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ أَيْ: لَطِيفًا بِرِفْقٍ وَوَعْدٍ بِالْجَمِيلِ عِنْدَ سُنُوحِ الْفُرْصَةِ، وَاعْتِذَارٍ بِعَدَمِ الْإِمْكَانِ فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ؛ لِيَنْقَلِبُوا عَنْكَ مُطْمَئِنَّةً خَوَاطِرُهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٣].

وَهَذَا -أَيْضًا- مِنْ لُطْفِ اللهِ -تَعَالَىٰ- بِالْعِبَادِ؛ أَمْرُهُمْ بِانْتِظَارِ الرَّحْمَةِ وَالرِّزْقِ مِنْهُ؛ لِأَنَّ انْتِظَارَ ذَلِكَ عِبَادَةٌ، وَكَذَلِكَ وَعْدُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَالْمَعْرُوفِ عِنْدَ التَّيَسُّرِ عِبَادَةٌ حَاضِرَةٌ؛ لِأَنَّ الْهَمَّ بِفِعْلِ الْحَسَنَةِ حَسَنَةٌ؛ وَلِهَذَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ

يَفْعَلَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَنْوِي فِعْلَ مَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ؛ لِيُثَابَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلَعَلَّ اللهَ يُيَسِّرُ لَهُ بِسَبَبِ رَجَائِهِ»(١).

فِي الْآيَةِ: الْحَثُّ عَلَىٰ تَعْلِيقِ الْقَلْبِ وَالرَّجَاءِ وَالطَّمَعِ بِاللهِ، وَصَرْفِ التَّعَلُّقِ بِالْمَخْلُوقِينَ، فَالْمُوَفَّقُ فِي حَالِ الْوُجُودِ وَالْغِنَىٰ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِحَمْدِ اللهِ وَشُكْرِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، لَا يَنْسَىٰ وَلَا يَبْطُرُ النِّعْمَةَ، وَفِي حَالِ الْفَقْدِ وَالْفَقْرِ صَابِرٌ رَاضٍ، رَاجٍ مِنَ اللهِ فَضْلَهُ وَخَيْرَهُ وَرَحْمَتَهُ، وَهَذَا مِنْ أَجَلِّ عِبَادَاتِ الْقُلُوبِ الْمُقَرِّبَةِ إِلَىٰ عَلَّامِ الْغُيُوبِ(*).

وَلَقَدْ نَدَبَ اللهُ ﷻ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى طَلَبِ الرَّحْمَةِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

«جَمَعُوا بَيْنَ الْإِيمَانِ الْمُقْتَضِي لِأَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ، وَالدُّعَاءِ لِرَبِّهِمْ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَالتَّوَسُّلِ إِلَيْهِ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَمِنَّتِهِ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمَانِ، وَالْإِخْبَارِ بِسِعَةِ رَحْمَتِهِ، وَعُمُومِ إِحْسَانِهِ، وَفِي ضِمْنِهِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ خُضُوعِهِمْ وَخُشُوعِهِمْ وَانْكِسَارِهِمْ لِرَبِّهِمْ، وَخَوْفِهِمْ وَرَجَائِهِمْ؛ فَهَؤُلَاءِ سَادَاتُ النَّاسِ وَفُضَلَاؤُهُمْ»(٣).

«إِنَّ الْمُؤْمِنَ الْمُوَحِّدَ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ مُلَازِمٌ لِلْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ وَهُوَ النَّافِعُ، وَبِهِ تَحْصُلُ السَّعَادَةُ، وَيُخْشَىٰ عَلَىٰ الْعَبْدِ مِنْ خُلُقَيْنِ رَذِيلَيْنِ:

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٤٥٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ تَيْسِيرِ اللَّطِيفِ الْمَنَّانِ فِي خُلَاصَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (الْمُحَاضَرَة ٥)، الْخَمِيسُ ٢٠ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٤هـ| ٢٦-٩-٢٠١٣م.

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٥٦٠).

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَيْهِ الْخَوْفُ حَتَّىٰ يَقْنُطَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وَرَوْحِهِ.

الثَّانِي: أَنْ يَتَجَارَىٰ بِهِ الرَّجَاءُ حَتَّىٰ يَأْمَنَ مَكْرَ اللهِ وَعُقُوبَتَهُ؛ فَمَتَىٰ بَلَغَتْ بِهِ الْحَالُ إِلَىٰ هَذَا فَقَدْ ضَيَّعَ وَاجِبَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ اللَّذَيْنِ هُمَا مِنْ أَكْبَرِ أُصُولِ التَّوْحِيدِ وَوَاجِبَاتِ الْإِيمَانِ.

وَلِلْقُنُوطِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وَالْيَأْسِ مِنْ رَوْحِهِ سَبَبَانِ مَحْذُورَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يُسْرِفَ الْعَبْدُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَيَتَجَرَّأَ عَلَىٰ الْمَحَارِمِ فَيُصِرَّ عَلَيْهَا، وَيُصَمِّمَ عَلَىٰ الْإِقَامَةِ عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ، وَيَقْطَعَ طَمَعَهُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ؛ لِأَجْلِ أَنَّهُ مُقِيمٌ عَلَىٰ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَمْنَعُ الرَّحْمَةَ.

فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يَصِيرَ لَهُ هَذَا وَصْفًا وَخُلُقًا لَازِمًا، وَهَذَا غَايَةُ مَا يُرِيدُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْعَبْدِ، وَمَتَىٰ وَصَلَ إِلَىٰ هَذَا الْحَدِّ؛ لَمْ يُرْجَ لَهُ خَيْرٌ إِلَّا بِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ وَإِقْلَاعٍ قَوِيٍّ.

الثَّانِي: أَنْ يَقْوَىٰ خَوْفُ الْعَبْدِ بِمَا جَنَتْ يَدَاهُ مِنَ الْجَرَائِمِ، وَيَضْعُفَ عِلْمُهُ بِمَا لِلهِ مِنْ وَاسِعِ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَيَظُنُّ بِجَهْلِهِ أَنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ لَهُ وَلَا يَرْحَمُهُ وَلَوْ تَابَ وَأَنَابَ، وَتَضْعُفَ إِرَادَتُهُ فَيَيْأَسَ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَهَذَا مِنَ الْمَحَاذِيرِ الضَّارَّةِ النَّاشِئَةِ مِنْ ضَعْفِ عِلْمِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ وَمَا لَهُ مِنَ الْحُقُوقِ، وَمِنْ ضَعْفِ النَّفْسِ وَعَجْزِهَا وَمَهَانَتِهَا.

فَلَوْ عَرَفَ هَذَا رَبَّهُ وَلَمْ يَخْلُدْ إِلَىٰ الْكَسَلِ؛ لَعَلِمَ أَنَّ أَدْنَىٰ سَعْيٍ يُوصِلُهُ إِلَىٰ رَبِّهِ وَإِلَىٰ رَحْمَتِهِ وَجُودِهِ وَكَرَمِهِ.

وَلِلْأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللهِ -أَيْضًا- سَبَبَانِ مُهْلِكَانِ:

أَحَدُهُمَا: إِعْرَاضُ الْعَبْدِ عَنِ الدِّينِ، وَغَفْلَتُهُ عَنْ مَعْرِفَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَمَا لَهُ مِنَ الْحُقُوقِ، وَتَهَاوُنُهُ بِذَلِكَ، فَلَا يَزَالُ مُعْرِضًا غَافِلًا مُقَصِّرًا عَنِ الْوَاجِبَاتِ، مُنْهَمِكًا فِي الْمُحَرَّمَاتِ، حَتَّىٰ يَضْمَحِلَّ خَوْفُ اللهِ مِنْ قَلْبِهِ، وَلَا يَبْقَىٰ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْإِيمَانِ شَيْءٌ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ يَحْمِلُ عَلَىٰ خَوْفِ اللهِ وَخَوْفِ عِقَابِهِ الدُّنْيَوِيِّ وَالْأُخْرَوِيِّ.

وَالسَّبَبُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ عَابِدًا جَاهِلًا، مُعْجَبًا بِنَفْسِهِ، مَغْرُورًا بِعَمَلِهِ، فَلَا يَزَالُ بِهِ جَهْلُهُ حَتَّىٰ يُدِلَّ بِعَمَلِهِ وَيَزُولَ الْخَوْفُ عَنْهُ، وَيَرَىٰ أَنَّ لَهُ عِنْدَ اللهِ الْمَقَامَاتِ الْعَالِيَةَ؛ فَيَصِيرَ آمِنًا مِنْ مَكْرِ اللهِ مُتَّكِلًا عَلَىٰ نَفْسِهِ الضَّعِيفَةِ الْمَهِينَةِ، وَمِنْ هُنَا يُخْذَلُ وَيُحَالُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْفِيقِ؛ إِذْ هُوَ الَّذِي جَنَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ.

وَهَذِهِ الْأُمُورُ مِنَ الْأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَمِنَ الْيَأْسِ مِنْ رَوْحِهِ، وَالْقُنُوطِ مِنْ رَحْمَتِهِ.. هَذِهِ الْأُمُورُ مُنَافِيَةٌ لِتَوْحِيدِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَتِهِ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ وَعَظَائِمِ الْإِثْمِ»[(١)].

قَالَ الْمُنَاوِيُّ[(٢)]: «الْيَأْسُ: الْقَطْعُ بِأَنَّ الشَّيْءَ لَا يَكُونُ، وَالْيَأْسُ ضِدُّ الرَّجَاءِ».

وَقَالَ الْعِزُّ[(٣)]: «الْيَأْسُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ: هُوَ اسْتِصْغَارٌ لِسَعَةِ رَحْمَتِهِ ﷻ وَلِمَغْفِرَتِهِ، وَذَلِكَ ذَنْبٌ عَظِيمٌ وَتَضْيِيقٌ لِفَضَاءِ جُودِهِ».

---

(١) «**القول السديد شرح كتاب التوحيد**» ضمن مجموع مؤلفات السعدي: (٦/ ٦٨٧-٦٨٨)، بتصرف يسير.

(٢) «**التوقيف علىٰ مهمات التعاريف**»: (ص٣٤٦).

(٣) «**شجرة المعارف والأحوال**»: (ص٩٩).

الْيَأْسُ: انْقِطَاعُ الرَّجَاءِ(١).

وَقَالَ الرَّاغِبُ(٢): «هُوَ انْتِفَاءُ الطَّمَعِ».

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ(٣): «الْقَطْعُ عَلَىٰ أَنَّ الْمَطْلُوبَ لَا يَتَحَصَّلُ لِتَحَقُّقِ فَوَاتِهِ»؛ فَهَذَا هُوَ الْيَأْسُ.

«وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ الْيَأْسَ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: الْقُنُوطُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وَإِنَّمَا عَبَّرَ بِالْيَأْسِ عَنِ الْقُنُوطِ؛ لِأَنَّ الْقُنُوطَ ثَمَرَةُ الْيَأْسِ.

الثَّانِي: الْيَأْسُ: الْعِلْمُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ﴾ [الرعد: ٣١]؛ أَيْ أَفَلَمْ يَعْلَمُوا؟!»(٤).

وَقَدْ عَدَّ ابْنُ حَجَرٍ(٥) الْيَأْسَ مِنْ رَحْمَتِهِ -تَعَالَىٰ- مِنَ الْكَبَائِرِ؛ مُسْتَدِلًّا بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

---

(١) «**الكليات**» لأبي البقاء الكفوي: (ص٩٨٥).

(٢) «**المفردات في غريب القرآن**»: (ص٨٩٢).

(٣) «**نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**»: (ص٦٣٣).

(٤) المصدر السابق.

(٥) هو شيخ الإسلام أبو العباس ابن حجر الهيتمي، (المتوفىٰ: ٩٧٤هـ).

وَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ عَدَدًا مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمُبَشِّرَةِ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ ﷻ قَالَ[١]: «عَدُّ هَذَا كَبِيرَةٌ هُوَ مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ لِمَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ»[٢].

فَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ﷻ مِنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَمِنْ عَظَائِمِ الذُّنُوبِ.

الْقُنُوطُ: مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ قَنَطَ يَقْنُطُ؛ إِذَا يَئِسَ يَأْسًا شَدِيدًا.

«**قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾ [الحجر: ٥٥]؛ أَيْ: الْيَائِسِينَ مِنَ الْوَلَدِ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام قَدْ يَئِسَ مِنَ الْوَلَدِ لِفَرْطِ الْكِبَرِ»[٣].

الْقُنُوطُ: أَشَدُّ الْيَأْسِ، يُقَالُ: قَنِطَ يَقْنَطُ قُنُوطًا وَقَنَاطَةً[٤]، وَهُوَ انْقِطَاعُ الْأَمَلِ، وَفَقْدُ الرَّجَاءِ، وَانْتِفَاءُ الطَّمَعِ، وَهَذِهِ الْحَالُ إِذَا تَعَلَّقَتْ بِاللهِ ﷻ كَانَتْ مَعْصِيَةً كَبِيرَةً وَاعْتِقَادًا بَاطِلًا؛ لِأَنَّهَا تَنِمُّ عَنْ سُوءِ الظَّنِّ بِاللهِ ﷻ، وَتُشِيرُ إِلَىٰ نِسْبَةِ الْعَجْزِ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ، وَهَذَا ضَلَالٌ مُبِينٌ، لِذَلِكَ نَهَىٰ عَنْهُ الدِّينُ، وَأَخْبَرَ الْقُرْآنُ أَنَّهُ لَا يَصْدُرُ إِلَّا مِنْ كَافِرٍ؛ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

---

(١) «**الزواجر عن اقتراف الكبائر**»: الْكَبِيرَةُ الْأَرْبَعُونَ، (١/ ١٤٩).

(٢) «**نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم**»: (١١/ ٥٧٢٥).

(٣) «**الجامع لأحكام القرآن**» للقرطبي: (١٠/ ٣٥-٣٦).

(٤) «**النهاية في غريب الحديث**»: (٤/ ١١٣)، مادة: (قنط).

وَرَوْحُ اللهِ هُنَا: رَحْمَتُهُ[١] الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فَلَا يَجُوزُ الْوُقُوفُ مِنْهَا مَوْقِفَ الْيَأْسِ وَالْقُنُوطِ مَهْمَا اشْتَدَّتْ بِالْإِنْسَانِ الْمِحَنُ وَتَكَالَبَتْ عَلَيْهِ الرَّزَايَا؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَادِرٌ عَلَىٰ خَلْقِ الْفَرَجِ، وَتَفْرِيجِ الْكَرْبِ، وَتَبْدِيدِ الْخُطُوبِ، وَالشَّكُّ فِي ذَلِكَ مَدْعَاةٌ لِنِسْبَةِ النَّقْصِ وَالْعَجْزِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَاعْتِقَادُ ذَلِكَ بِاللهِ ﷻ كُفْرٌ بِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ.

وَلَقَدْ نَهَىٰ اللهُ ﷻ عَنْ هَذَا الْيَأْسِ وَذَلِكَ الْقُنُوطِ مَهْمَا كَانَتِ الْحَالُ الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا الْعَبْدُ وَاسْتَقَرَّتْ فِيهَا الشِّدَّةُ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورىٰ: ٢٨].

لَقَدْ ذَكَرَ اللهُ ﷻ أَحْوَالًا لِعِبَادِهِ بَلَغَ فِيهَا بَعْضُهُمْ مَبْلَغَ الْحَرَجِ، وَكَادُوا فِيهَا أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لِلْيَأْسِ، فَجَاءَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَرَجُ، وَأَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِتَبْدِيدِ الشَّدَائِدِ وَإِزَالَةِ الْكُرَبِ.

---

(١) أخرج عبد الرزاق في «**تفسيره**»: (٢/ ٢٢٢، رقم ١٣٣٧)، والطبري في «**جامع البيان**»: (١٣/ ٤٩)، وابن أبي حاتم في «**تفسيره**»: (٧/ ٢١٩٠، رقم ١١٩١١)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**لَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ**﴾، قَالَ: «**مِنْ رَحْمَةِ اللهِ**».
وقال الضحاك والسدي، بنحوه.

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

بَعْدَ هَذَا الزِّلْزَالِ الَّذِي مَلَأَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَعْدَ تِلْكَ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ الَّتِي رَكِبَتْهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ جَاءَ نَصْرُ اللهِ، وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

فَأَمَامَ هَذِهِ الْقُدْرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَسَرَّبَ إِلَىٰ النُّفُوسِ الْيَأْسُ وَلَا أَنْ يَسْتَحْكِمَ فِيهَا الْقُنُوطُ مَا دَامَتْ قُدْرَةُ اللهِ ﷻ أَقْوَىٰ مِنْ كُلِّ الشَّدَائِدِ وَالْمِحَنِ، وَمَا دَامَ سُلْطَانُهُ فَوْقَ كُلِّ هَذَا الْوُجُودِ؛ ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

«يُخْبِرُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَمْتَحِنَ عِبَادَهُ بِالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْمَشَقَّةِ، لَا بُدَّ مِنْ هَذَا الِامْتِحَانِ كَمَا فَعَلَ بِمَنْ قَبْلَهُمْ؛ فَهِيَ سُنَّتُهُ الْجَارِيَةُ الَّتِي لَا تَتَبَدَّلُ وَلَا تَتَغَيَّرُ؛ أَنَّ مَنْ قَامَ بِدِينِهِ وَشَرْعِهِ لَا بُدَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُ، فَإِنْ صَبَرَ عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ وَلَمْ يُبَالِ بِالْمَكَارِهِ الْوَاقِفَةِ فِي سَبِيلِهِ؛ فَهُوَ الصَّادِقُ الَّذِي قَدْ نَالَ مِنَ السَّعَادَةِ كَمَالَهَا، وَمِنَ السِّيَادَةِ آلَتَهَا.

وَمَنْ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ؛ بِأَنْ صَدَّتْهُ الْمَكَارِهُ عَمَّا هُوَ بِصَدَدِهِ، وَثَنَتْهُ الْمِحَنُ عَنْ مَقْصِدِهِ؛ فَهُوَ الْكَاذِبُ فِي دَعْوَىٰ الْإِيمَانِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّحَلِّي، وَلَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي وَمُجَرَّدِ الدَّعَاوَىٰ حَتَّىٰ تُصَدِّقَهُ الْأَعْمَالُ أَوْ تُكَذِّبَهُ[1].

---

(١) أخرج ابن المبارك في «**الزهد**»: (١١/ ٤٢٥، رقم ١٥٦٥)، وابن أبي شيبة في «**المصنف**»: (١١/ ٢٢) و (١٣/ ٥٠٤)، وفي «**الإيمان**»: (ص ٣٨، رقم ٩٣)، وأحمد =

فَقَدْ جَرَىٰ عَلَىٰ الْأُمَمِ الْأَقْدَمِينَ مَا ذَكَرَ اللهُ عَنْهُمْ: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾؛ أَيِ: الْفَقْرُ وَالْأَمْرَاضُ فِي أَبْدَانِهِمْ، ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ بِأَنْوَاعِ الْمَخَاوِفِ مِنَ التَّهْدِيدِ بِالْقَتْلِ، وَالنَّفْيِ، وَأَخْذِ الْأَمْوَالِ، وَقَتْلِ الْأَحِبَّةِ، وَأَنْوَاعِ الْمَضَارِّ حَتَّىٰ وَصَلَتْ بِهِمُ الْحَالُ وَآلَ بِهِمُ الزِّلْزَالُ إِلَىٰ أَنِ اسْتَبْطَئُوا نَصْرَ اللهِ مَعَ يَقِينِهِمْ بِهِ، وَلَكِنْ لِشِدَّةِ الْأَمْرِ وَضِيقِهِ قَالَ: ﴿ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾، فَلَمَّا كَانَ الْفَرَجُ عِنْدَ الشِّدَّةِ -وَكُلَّمَا ضَاقَ الْأَمْرُ اتَّسَعَ- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

فَهَكَذَا كُلُّ مَنْ قَامَ بِالْحَقِّ فَإِنَّهُ يُمْتَحَنُ، فَكُلَّمَا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ وَصَعُبَتْ، إِذَا صَبَرَ وَثَابَرَ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ انْقَلَبَتِ الْمِحْنَةُ فِي حَقِّهِ مِنْحَةً، وَالْمَشَقَّاتُ رَاحَاتٍ، وَأَعْقَبَهُ ذَلِكَ الِانْتِصَارُ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ، وَشِفَاءُ مَا فِي قَلْبِهِ مِنَ الدَّاءِ(١).

=

في «**الزهد**»: (ص ٢١٣، رقم ١٤٨٣)، وابن بطة في «**الإبانة الكبرىٰ**»: (٢/ ٨٠٥، رقم ١٠٩٣ و ١٠٩٤)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: (١/ ١٥٨ - ١٥٩، رقم ٦٥)، والخطيب في «**اقتضاء العلم العمل**»: (ص ٤٢ - ٤٣، رقم ٥٦)، من طرق بعضها جيد، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ:

«لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّحَلِّي وَلَا بِالتَّمَنِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ، وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ، مَنْ قَالَ حَسَنًا وَعَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ رَدَّهُ اللهُ عَلَىٰ قَوْلِهِ، وَمَنْ قَالَ حَسَنًا وَعَمِلَ صَالِحًا رَفَعَهُ الْعَمَلُ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]».

والأثر عزاه السيوطي في «**الدر المنثور**»: (٥/ ٢٤٦) إلىٰ عبد بن حميد أيضا، ونقل المناوي في «**فيض القدير**»: (٥/ ٣٥٦) عن الحافظ العلائي تجويد إسناده، وروي عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيِّ وقَتَادة نحوه، وروي مرفوعا ولا يصح.

(١) انظر: «**الوابل الصيب**»: (ص٦٦).

وَهَذِهِ الْآيَةُ نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

وَهِيَ نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣].

فَعِنْدَ الِامْتِحَانِ يُكْرَمُ الْمَرْءُ أَوْ يُهَانُ»(١).

وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ ﷻ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ كِتَابِهِ الْحَالَ الَّتِي أَدْرَكَتْ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ حَاصَرَهُمُ الْأَحْزَابُ فِي الْمَدِينَةِ، وَهُمْ عِنْدَ الْخَنْدَقِ الَّذِي حَفَرُوهُ لِلدِّفَاعِ عَنْ وُجُودِهِمْ وَحِمَايَةِ بَلَدِهِمْ مِنْ تَأَلُّبِ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهِمْ، وَبَيَّنَ لَوَامِعَ الْبِشْرِ وَمَسَالِكَ النَّصْرِ الَّذِي آتَاهُمُ اللهُ ﷻ؛ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠-١١].

قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- فِي تَبْدِيدِ هَذِهِ الْمَخَاوِفِ وَكَسْرِ عَصَا هَذِهِ الْجُمُوعِ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩].

وَقَالَ -أَيْضًا- فِي هَذَا الشَّأْنِ: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝٢٥ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝٢٦

(١) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص٩٦).

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٥-٢٧].

فَالزَّلْزَلَةُ وَالِاضْطِرَابُ وَالْخَوْفُ وَبُلُوغُ الرُّعْبِ وَالشِّدَّةِ قُلُوبَ الْعِبَادِ جَائِزٌ عَلَىٰ الْعِبَادِ، أَمَّا الْيَأْسُ وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وَمِنْ إِدْرَاكِ عِبَادِهِ بِالْفَرَجِ فَحَرَامٌ غَيْرُ جَائِزٍ؛ لِأَنَّ حَالَ الْعَبْدِ غَيْرُ حَالِ الرَّبِّ جَلَّوَعَلَا؛ فَمَا يَعْجِزُ عَنْهُ الْعِبَادُ لَا يَعْجِزُ عَنْهُ خَالِقُهُمْ، وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، وَهُوَ الْقَادِرُ الْقَدِيرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ.

قَالَ اللهُ جَلَّوَعَلَا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

وَقَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣].

إِنَّ اللهَ جَلَّوَعَلَا **قَدْ أَمَرَ عِبَادَهُ بِأَلَّا يَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَتِهِ، عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤَمِّلُوا فِي رَوْحِ اللهِ، وَأَلَّا يَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا مِنْ وَسِيعِ رَحْمَتِهِ.**

﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

«يُخْبِرُ اللهُ عِبَادَهُ الْمُسْرِفِينَ بِسَعَةِ كَرَمِهِ، وَيَحُثُّهُمْ عَلَىٰ الْإِنَابَةِ قَبْلَ أَلَّا يُمْكِنَهُمْ ذَلِكَ؛ فَقَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿قُلْ﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ وَمَنْ قَامَ مَقَامَهُ مِنَ الدُّعَاةِ

إِلَىٰ دِينِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا مُخْبِرًا لِلْعِبَادِ عَنْ رَبِّهِمْ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ بِاتِّبَاعِ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْفُسُهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ وَالسَّعْيِ فِي مَسَاخِطِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ، ﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾: لَا تَيْأَسُوا مِنْهَا فَتُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَىٰ التَّهْلُكَةِ وَتَقُولُوا: قَدْ كَثُرَتْ ذُنُوبُنَا وَتَرَاكَمَتْ عُيُوبُنَا، فَلَيْسَ لَهَا طَرِيقٌ يُزِيلُهَا وَلَا سَبِيلٌ يَصْرِفُهَا، فَتَبْقُونَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مُصِرِّينَ عَلَىٰ الْعِصْيَانِ، مُتَزَوِّدِينَ مَا يُغْضِبُ عَلَيْكُمُ الرَّحْمَنَ، وَلَكِنِ اعْرِفُوا رَبَّكُمْ بِأَسْمَائِهِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ كَرَمِهِ وَجُودِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا مِنَ الشِّرْكِ وَالْقَتْلِ وَالزِّنَا وَالرِّبَا وَالظُّلْمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ أَيْ: وَصْفُهُ الْمَغْفِرَةُ وَالرَّحْمَةُ وَصْفَانِ لَازِمَانِ ذَاتِيَّانِ لَا تَنْفَكُّ ذَاتُهُ عَنْهُمَا أَبَدًا، وَلَمْ تَزَلْ آثَارُهُمَا سَارِيَةً فِي الْوُجُودِ، مَالِئَةً لِلْمَوْجُودِ، تَسُحُّ يَدَاهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَيُوَالِي النِّعَمَ عَلَىٰ الْعِبَادِ وَالْفَوَاضِلَ فِي السِّرِّ وَالْجَهَارِ، وَالْعَطَاءُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمَنْعِ، وَالرَّحْمَةُ سَبَقَتِ الْغَضَبَ وَغَلَبَتْهُ». (*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «الْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ» - الْجُمُعَةُ ٢٧ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٦هـ| ١٩-١٢-٢٠١٤م.

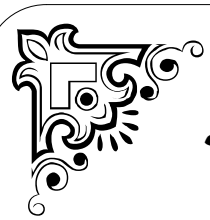

مِنْ أَعْظَمِ صِفَاتِ نَبِيِّنَا وَأُمَّتِهِ ﷺ الرَّحْمَةُ

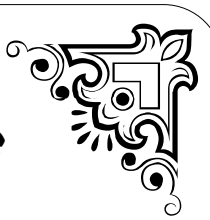

الرَّحْمَةُ هِيَ رِقَّةُ الْقَلْبِ وَصَفْوُهُ وَرَحْمَتُهُ لِلْخَلْقِ، وَزَوَالُ قَسْوَتِهِ وَغِلْظَتِهِ، وَهُوَ مِنْ أَخْلَاقِ صَفْوَةِ الْخَلْقِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فَرَأْفَتُهُ ﷺ وَرَحْمَتُهُ لَا يُقَارِبُهُ فِيهَا أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ، وَهَذِهِ الرَّأْفَةُ وَالرَّحْمَةُ ظَهَرَتْ آثَارُهَا فِي مُعَامَلَتِهِ لِلْخَلْقِ، وَلَا تُنَافِي هَذِهِ الرَّحْمَةُ قُوَّةَ الْقَلْبِ وَصَبْرَهُ، فَقَدْ كَانَ ﷺ أَصْبَرَ الْخَلْقِ وَأَشْجَعَهُمْ وَأَقْوَاهُمْ قَلْبًا مَعَ كَمَالِ رَحْمَتِهِ.

فَقُوَّةُ الْقَلْبِ مِنْ آثَارِهَا الصَّبْرُ وَالْحِلْمُ وَالشَّجَاعَةُ الْقَوْلِيَّةُ وَالْفِعْلِيَّةُ، وَالْقِيَامُ التَّامُّ بِأَمْرِ اللهِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ.

وَرَحْمَةُ الْقَلْبِ مِنْ آثَارِهَا: الشَّفَقَةُ وَالْحُنُوُّ وَالنَّصِيحَةُ، وَبَذْلُ الْإِحْسَانِ الْمُتَنَوِّعِ، فَأَيُّ أَخْلَاقٍ تُقَارِبُ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ السَّامِيَةَ الْجَلِيلَةَ؟!!

فَقُوَّةُ الْقَلْبِ وَشَجَاعَتُهُ تَنْفِي الضَّعْفَ وَالْخَوَرَ، وَرَحْمَتُهُ تَنْفِي الْقَسْوَةَ وَالْغِلْظَةَ وَالشَّرَاسَةَ.

وَهَذِهِ الْأَخْلَاقُ الْجَمِيلَةُ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ عِلْمِ الْأَخْلَاقِ وَالتَّرْبِيَةِ عَلَىٰ أَحْسَنِهَا؛ فَإِنَّهَا -أَيْضًا- دَاخِلَةٌ فِي عِلْمِ التَّوْحِيدِ، كَمَا دَخَلَ فِيهِ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ وَالدُّعَاءُ وَغَيْرُهَا.

فَهِيَ مِنْ جِهَةِ التَّعَبُّدِ للهِ -تَعَالَىٰ- بِهَا وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ دَاخِلَةٌ فِي عِلْمِ التَّوْحِيدِ.

وَمِنْ جِهَةِ تَكْمِيلِهَا لِلْعَبْدِ وَتَرْقِيَتِهَا لِأَخْلَاقِهِ وَتَهْذِيبِ النُّفُوسِ وَتَزْكِيَتِهَا دَاخِلَةٌ فِي عِلْمِ الْأَخْلَاقِ.

وَهَذَا أَعْظَمُ الْبَرَاهِينِ عَلَىٰ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَىٰ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالدِّينِ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا رُقِيَّ وَلَا عُلُوَّ وَلَا كَمَالَ وَلَا سَعَادَةَ إِلَّا بِهِ، وَأَنَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ الْعِلْمِيُّ الْإِرْشَادِيُّ، وَالْهُدَىٰ الْعَمَلِيُّ، وَالتَّرْبِيَةُ النَّافِعَةُ.(*).

إِنَّ مَنْ سَبَرَ أَحْوَالَ الْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-؛ فَإِنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّ الرَّحْمَةَ وَصْفٌ مُشْتَرَكٌ بَيْنَهُمْ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ-، وَمَنْ سَبَرَ أَحْوَالَهُمْ؛ وَجَدَ الرَّحْمَةَ مِنْ أَخَصِّ أَوْصَافِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي كَانَتْ تَغْلِبُ غَضَبَهُ، وَلَهُ مِنْهَا الْحَظُّ الْأَوْفَىٰ.

فَإِنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ لِذَلِكَ، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وَلَقَدْ تَوَاتَرَتِ النُّصُوصُ مِنْ سِيرَتِهِ وَسُنَّتِهِ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ، وَمَا جَاءَ عَنْهُ مِنَ الْأَمْرِ بِهَا، وَالْحَثِّ عَلَىٰ امْتِثَالِهَا شَيْءٌ كَثِيرٌ يَعْسُرُ حَصْرُهُ وَاسْتِقْصَاؤُهُ؛

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ فَتْحِ الرَّحِيمِ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ» (الْمُحَاضَرَة ٩)، الْأَحَدُ ٢٦ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٤هـ| ٤-٨-٢٠١٣م.

لِذَلِكَ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْدَانُ، قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وَقَدْ شَهِدَ لَهُ ﷺ عُلَمَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ شَهِدوا لَهُ بِأَنَّهُ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ؛ **فعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ** رضي الله عنه، **قَالَ**: «خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَىٰ الشَّامِ وَخَرَجَ مَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ -يَعْنِي: فِي صِبَاهُ- فِي أَشْيَاخٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَىٰ الرَّاهِبِ هَبَطُوا فَحَلُّوا رِحَالَهُمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الرَّاهِبُ وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ فَلَا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُ.

قَالَ: فَهُمْ يَحُلُّونَ رِحَالَهُمْ، فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمُ الرَّاهِبُ حَتَّىٰ جَاءَ فَأَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَقَالَ: هَذَا سَيِّدُ العَالَمِينَ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ، يَبْعَثُهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.

فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ: مَا عِلْمُكَ؟

فَقَالَ: إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ العَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ حَجَرٌ وَلَا شَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا وَلَا يَسْجُدَانِ إِلَّا لِنَبِيٍّ، وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ أَسْفَلَ مِنْ غُضْرُوفِ كَتِفِهِ مِثْلَ التُّفَّاحَةِ». الْحَدِيثَ[1]. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ السِّيرَةِ».

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ فِي «جَامِعِهِ» (رَقْم ٣٦٢٠)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ»، وصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيّ فِي هامش «المشكاة» (٣/ رَقْم ٥٩١٨)، وذكره فِي «صَحِيحِ السيرةِ النَّبَوِيَّةِ» (ص٢٩ - ٣١).

لَقَدِ اسْتِقْرَتِ الرَّحْمَةُ فِي نَفْسِهِ ﷺ، حَتَّىٰ كَانَتْ دَيْدَنَهُ فِي الْوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ، وَلِكَمَالِ رَحْمَتِهِ وَلِينِهِ وَرِفْقِهِ؛ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُ الْعِبَادِ وَالْتَفَّتْ حَوْلَهُ أَبْدَانُهُمْ، وَقَدْ كَانَ يَحْتَمِلُ مِنْ أَذَىٰ النَّاسِ الشَّيْءَ الْعَظِيمَ وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَنْتَقِمُ، بَلْ وَلَا يَضْجَرُ، فَرَحْمَتُهُ تَسْبِقُ غَضَبَهُ ﷺ.

فَهُوَ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ ﷺ، وَدِينُهُ دِينُ الرَّحْمَةِ، وَهُوَ دَاعٍ إِلَىٰ الرَّحْمَةِ، وَقَدْ أَرْسَلَهُ اللهُ تَعَالَىٰ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.

يَا مَنْ لَهُ مِنَ الْأَخْلَاقِ مَا تَهْوَىٰ الْعُلَا ... مِنْهَا وَمَا يَتَعَشَّقُ الْكُبَرَاءُ

فَإِذَا سَخَوْتَ بَلَغْتَ بِالْجُودِ الْمَدَىٰ ... وَفَعَلْتَ مَا لَا تَفْعَلُ [الْبُذَلَاءُ][1]

وَإِذَا عَفَوْتَ فَقَادِرًا وَمُقَدَّرًا ... لَا يَسْتَهِينُ بِعَفْوِكَ الْجُهَلَاءُ

وَإِذَا رَحِمْتَ فَأَنْتَ أُمٌّ أَوْ أَبٌ ... هَذَانِ فِي الدُّنْيَا هُمَا الرُّحَماءُ[2] (*)

إِنَّ الرَّحْمَةَ صِفَةٌ مُهِمَّةٌ، مَحْبُوبَةٌ عِنْدَ اللهِ -تَعَالَىٰ-، اتَّصَفَ بِهَا بِكَمَالِهَا الرَّسُولُ الْأَمِينُ ﷺ.

---

(١) في «الديوان»: [الأَنواءُ]، والنوء: المطر.

(٢) الأبيات للشاعر أحمد شوقي الملقب بـ(أمير الشعراء) (المتوفىٰ: ١٣٥١ ﻫ)، من قصيدة: (الهمزية النبوية) من ديوانه: «الشوقيات» (١/ ٣٥)، يقول في مطلعها:

وُلد الهدىٰ، فالكائناتُ ضياءُ ... وفَمُ الزَّمان تبسُّمٌ وثناءُ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ وَاخْتِصَارٍ مِنْ خُطْبَة: «أَهْلُ الْقِبْلَةِ» - الْجُمُعَةُ ١٣ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٧ هـ| ٢٠-٥-٢٠١٦م.

وَالصِّفَةُ الْبَارِزَةُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ هِيَ الرَّحْمَةُ، كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]؛ فَهِيَ صِفَةٌ بَارِزَةٌ مِنْ صِفَاتِ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَالْقَسَاوَةُ لَا يُحِبُّهَا اللهُ -تَعَالَىٰ-، وَهِيَ عُقُوبَةٌ؛ فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- لَا يُحِبُّ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ، وَأَبْعَدُ الْقُلُوبِ عَنِ اللهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢].

أَبْعَدُ الْقُلُوبِ عَنِ اللهِ -تَعَالَىٰ- الْقَلْبُ الْقَاسِي، وَأَحَبُّ الْقُلُوبِ إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- الْقَلْبُ السَّلِيمُ؛ وَهُوَ الْقَلْبُ الْمُوَحِّدُ الَّذِي يَتَّصِفُ بِصِفَاتِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَمِنْ أَعْظَمِ ذَلِكَ: صِفَةُ الرَّحْمَةِ.

وَمِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِفًا بِصِفَةِ الرَّحْمَةِ، وَمِنْ سُوءِ حَظِّهِ وَشَقَاوَتِهِ الْحِرْمَانُ مِنْ هَذِهِ الصِّفَةِ الْجَلِيلَةِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ**»(١). هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَأَبُو دَاوُدَ.

قَوْلُهُ: «**لَا تُنْزَعُ**»: بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ؛ أَيْ: لَا تُسْلَبُ الشَّفَقَةُ، وَأَصْلُ النَّزْعِ: الْجَذْبُ وَالْقَلْعُ.

---

(١) «الأدب المفرد» (رَقْم ٣٧٤)، وأَخْرَجَهُ أيضا أبو داود (رَقْم ٤٩٤٢)، والتِّرْمِذِيّ (رَقْم ١٩٢٣)، وحسنه الْأَلْبَانِيّ في «صَحِيح الترغيب والترهيب» (٢/ رَقْم ٢٢٦١)، وفي «صَحِيح الأدب المفرد» (رَقْم ٢٨٨)، وقد تقدم تخريجه.

النَّبِيُّ ﷺ يُبَيِّنُ أَنَّ الرَّحْمَةَ فِي الْخَلْقِ هِيَ رِقَّةٌ فِي الْقَلْبِ، وَرِقَّةُ الْقَلْبِ عَلَامَةُ الْإِيمَانِ، وَمَنْ لَا رِقَّةَ لَهُ فِي قَلْبِهِ فَلَا إِيمَانَ لَهُ، وَمَنْ لَا إِيمَانَ لَهُ شَقِيٌّ، فَمَنْ لَمْ يُرْزَقِ الرِّقَّةَ فِي الْقَلْبِ وَالرَّحْمَةَ فِي الْفُؤَادِ شَقِيَ.

وَحَقِيقَةُ الرَّحْمَةِ إِرَادَةُ الْمَنْفَعَةِ، وَإِذَا ذَهَبَتْ إِرَادَتُهَا مِنْ قَلْبِهِ شَقِيَ بِإِرَادَةِ الْمَكْرُوهِ لِغَيْرِهِ؛ فَذَهَبَ عَنْهُ الْإِيمَانُ وَالْإِسْلَامُ.

قَوْلُهُ: «**لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ**»: هَلِ الْمُرَادُ فِيهِ: تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ مِنْ قَلْبِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ رَحْمَةٌ؟

لِأَنَّ حَقِيقَةَ النَّزْعِ إِخْرَاجُ شَيْءٍ مِنْ مَكَانٍ كَانَ فِيهِ، فَهَلِ الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ ذَلِكَ؟ أَوِ الْمُرَادُ: لَمْ يُجْعَلْ فِي قَلْبِهِ رَحْمَةٌ أَصْلًا وَيَكُونُ كَقَوْلِهِ: «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ**»؟[1].

وَالْمُرَادُ: شَقَاءُ الْآخِرَةِ أَوِ الدُّنْيَا أَوِ الدَّارَيْنِ مَعًا.

«**الرَّحْمَةُ**»: رِقَّةٌ وَحُنُوٌّ يَجِدُ الْإِنْسَانُ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ عِنْدَ رُؤْيَةِ مُبْتَلًى أَوْ صَغِيرٍ أَوْ ضَعِيفٍ، يَحْمِلُهُ مَا يَجِدُهُ عَلَى الْإِحْسَانِ لَهُ، وَاللُّطْفِ وَالرِّفْقِ بِهِ، وَالسَّعْيِ فِي كَشْفِ مَا بِهِ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ هَذِهِ الرَّحْمَةَ فِي الْحَيَوَانِ كُلِّهِ، يَعْطِفُ الْحَيَوانُ عَلَى نَوْعِهِ وَوَلَدِهِ، وَيُحْسِنُ عَلَيْهِ حَالَ ضَعْفِهِ وَصِغَرِهِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (رَقْم ٤٣٩٨)، وَالنَّسَائِيُّ (٦/ ١٥٦، رَقْم ٣٤٣٢)، وَابْنُ مَاجَهْ (رَقْم ٢٠٤١)، مِنْ حديث: عَائِشَةَ رضي الله عنها، وروي نحوه عن علي بن أبي طالب وأبي قتادة الأنصاري رضي الله عنهما، وَالحديث صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (٢/ رَقْم ٢٩٧).

وَحِكْمَتُهَا: تَسْخِيرُ الْقَوِيِّ لِلضَّعِيفِ.

وَهَذِهِ الرَّحْمَةُ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ فِي الْقُلُوبِ فِي هَذِهِ الدَّارِ الَّتِي ثَمَرَتُهَا الْمَصْلَحَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي هِيَ حِفْظُ النَّوْعِ رَحْمَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ مِئَةٍ ادَّخَرَهَا اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ، فَمَنْ خَلَقَ اللهُ فِي قَلْبِهِ الرَّحْمَةَ الْحَامِلَةَ عَلَىٰ الرِّفْقِ وَكَشْفِ ضُرِّ الْمُبْتَلَىٰ فَقَدْ رَحِمَهُ اللهُ بِذَلِكَ فِي قَلْبِهِ بِمَا جعَلَ بِهِ مِنْ تِلْكَ الرَّحْمَةِ، وَجَعَلَ ذَلِكَ عَلَىٰ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُ فِي الْمَآلِ، فَمَنْ سَلَبَهُ ذَلِكَ الْمَعْنَىٰ وَابْتَلَاهُ بِنَقِيضِهِ مِنَ الْقَسْوَةِ وَالْغِلْظَةِ وَالْفَظَاظَةِ، وَلَمْ يَلْطُفْ بِضَعِيفٍ، وَلَا أَشْفَقَ عَلَىٰ مُبْتَلًىٰ فَقَدْ أَشْقَاهُ حَالًا، وَجَعَلَ ذَلِكَ عَلَمًا عَلَىٰ شِقْوَتِهِ مَآلًا، نَعُوذُ بِاللهِ تَعَالَىٰ مِنْ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ: «**لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ**»(١): مِنْ كَافِرٍ أَوْ فَاجِرٍ أَوْ عَاصٍ، فَيَتْعَبُ فِي الدُّنْيَا وَيُعَاقَبُ فِي الْآخِرَةِ.

قَوْلُهُ: «**إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ**»: وَالْمُرَادُ بِالشَّقِيِّ: مَنْ كَانَ شَقِيًّا فِي الْآخِرَةِ، ولَكِنَّهُ يُشْقِي نَفْسَهُ وَغَيْرَهُ فِي الدُّنْيَا، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا**﴾ [طه: ١٢٤].

فِي **الْحَدِيثِ**: دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الرَّحْمَةَ مِنَ الصِّفَاتِ الْعَظِيمَةِ؛ لِذَا وَصَفَ اللهُ ﷻ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالرَّحْمَةِ؛ لِجَلَالَةِ قَدْرِهَا، وَلِعِظَمِ شَأْنِهَا؛ فَقَالَ ﷻ: ﴿**لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [التوبة: ١٢٨]، فَوَصَفَهُ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ.

---

(١) تقدم تخريجه.

إِذَنْ: فَهُمَا مِنْ صِفَاتِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ وَمَنْ تَأَسَّىٰ بِهِ مِنْ أُمَّتِهِ، فَالرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، وَالَّذِي لَا تُوجَدُ فِيهِ رَحْمَةٌ فَهَذَا مِنَ الْأَشْقِيَاءِ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ مِنْ خِصَالِهِ الْحَمِيدَةِ أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ رَحْمَةٍ لِمَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُرْحَمَ، فَالْكَبِيرُ يَرْحَمُ الصَّغِيرَ، وَالْقَوِيُّ يَرْحَمُ الضَّعِيفَ، وَالصَّحِيحُ يَرْحَمُ الْمَرِيضَ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

فَالْمَقْصُودُ أَنَّ الرَّحْمَةَ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ، وَمِنَ الْخِصَالِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي امْتَازَ بِهَا أَهْلُ الْإِيمَانِ، وَالْعَكْسُ بِالْعَكْسِ، لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنَ الْأَشْقِيَاءِ، وَالْأَشْقِيَاءُ غَيْرُ السُّعَدَاءِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ -بَابٌ: ارْحَمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ» [ص١٦٨٥-١٦٩٠].

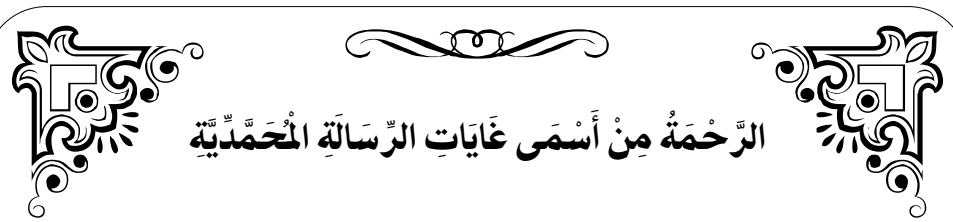

الرَّحْمَةُ مِنْ أَسْمَى غَايَاتِ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ

الرَّحْمَةُ خُلُقٌ ثَابِتٌ وَمُتَأَصِّلٌ فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَهُوَ شَامِلٌ لِكُلِّ قِيَمِ السُّلُوكِ الْفَاضِلِ فِي التَّعَامُلِ بَيْنَ النَّاسِ، وَمِنْ هُنَا كَانَتِ الرَّحْمَةِ مِنْ أَسْمَى أَهْدَافِ وَأَعْظَمِ غَايَاتِ وَأَجَلِّ مَقَاصِدِ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ(١)، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي قَوْلِ اللهِ لِنَبِيِّهِ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

«أَثْنَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ رَسُولِهِ، الَّذِي جَاءَ بِالْقُرْآنِ فَقَالَ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ فَهُوَ رَحْمَتُهُ الْمُهْدَاةُ لِعِبَادِهِ، فَالْمُؤْمِنُونَ بِهِ قَبِلُوا هَذِهِ الرَّحْمَةَ، وَشَكَرُوهَا، وَقَامُوا بِهَا، وَغَيْرُهُمْ كَفَرُوهَا، وَبَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا، وَأَبَوْا رَحْمَةَ اللهِ وَنِعْمَتَهُ»(٢).

«يُخْبِرُ -تَعَالَىٰ- أَنَّ اللهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا ﷺ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ؛ أَيْ: أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لَهُمْ كُلِّهِمْ، فَمَنْ قَبِلَ هَذِهِ الرَّحْمَةَ وَشَكَرَ هَذِهِ النِّعْمَةَ سَعِدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ رَدَّهَا وَجَحَدَهَا خَسِرَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨ جَهَنَّمَ

(١) من مقال بعنوان: «الرحمة».

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٥٣٢).

يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٢٨-٢٩]، وَقَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- فِي صِفَةِ الْقُرْآنِ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٤].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قِيلَ: «يَا رَسُولَ اللهِ! ادْعُ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ».

قَالَ: «**إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً**»(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْهُ -أَيْضًا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**»(٢)»(٣).

وَتَأْيِيدًا لِهَذَا فَإِنَّ اللهَ ﷻ يُؤَكِّدُ هَذَا الْمَفْهُومَ وَهَذِهِ الْقِيمَةَ الْعَظِيمَةَ فِي نُفُوسِ الْمُسْلِمِينَ، حَيْثُ تَكَرَّرَ مَفْهُومُ الرَّحْمَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ مِنْ سُوَرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَفِي مَوَاضِعَ أُخْرَى مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، هَذَا التَّأْكِيدُ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَجْعَلَ قِيمَةَ الرَّحْمَةِ حَاضِرَةً بِاسْتِمْرَارٍ فِي وَعْيِ النَّاسِ؛ حَتَّى يَكُونَ التَّعَامُلُ فِيمَا بَيْنَهُمْ قَائِمًا عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وَرَحْمَتُهُ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَنَبَّهَ النَّبِيُّ إِلَى أَنَّ الرَّاحِمُونَ يَسْتَحِقُّونَ رَحْمَةَ اللهِ، وَحَصَرَ الرَّحْمَةَ فِيهِمِ(٤)،

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِم (رَقْم ٢٥٩٩).

(٢) أخرجه الدارمي (١٥)، والبيهقي في «الشعب» (١٣٣٩) وغيرهما عن الأعمش عن أبي صالح مرسلا. وقد روي موصولا عن أبي صالح عن أبي هريرة كما عند الحاكم في «المستدرك» (١/ ٩١)؛ ورجح الدارقطني الإرسال كما في «العلل» (١٠/ ١٠٥).
وصحح الحديث الألباني في «الصحيحة» (ح٤٩٠).

(٣) «**تفسير ابن كثير**» (**٥/ ٣٨٥**).

(٤) من مقال بعنوان: «الرحمة».

فَقَدْ جَاءَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّما يَرْحَمُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**»(١).(*).

وَالرَّحْمَةُ هِيَ ثَوَابٌ مِنَ اللهِ لِلْمُؤْمِنِينَ، قَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿**أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٧].

«﴿**أُوْلَٰٓئِكَ**﴾ الْمَوْصُوفُونَ بِالصَّبْرِ الْمَذْكُورِ ﴿**عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ**﴾ أَيْ: ثَنَاءٌ وَتَنْوِيهٌ بِحَالِهِمْ ﴿**وَرَحْمَةٌ**﴾ عَظِيمَةٌ، وَمِنْ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ أَنْ وَفَّقَهُمْ لِلصَّبْرِ الَّذِي يَنَالُونَ بِهِ كَمَالَ الْأَجْرِ، ﴿**وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ**﴾ الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ، وَهُوَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عِلْمُهُمْ بِأَنَّهُمْ لِلَّهِ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَعَمِلُوا بِهِ وَهُوَ هُنَا صَبْرُهُمْ لِلَّهِ»(٣).

وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **وَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ يُوصِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالرَّحْمَةِ، وَوَعَدَ اللهُ** جَلَّ وَعَلَا **مَنِ اتَّصَفَ بِالرَّحْمَةِ وَوَصَّى بِهَا غَيْرَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ جَنَّةَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿**ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ**﴾ [البلد: ١٧-١٨].

«﴿**ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟**﴾ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ؛ أَيْ: آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ بِمَا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِجَوَارِحِهِمْ، فَدَخَلَ فِي هَذَا كُلُّ قَوْلٍ وَفِعْلٍ

---

(١) أَخْرَجَ الْبُخَارِيّ فِي «صَحِيحِهِ» (رَقْم ١٢٨٤) ومَوَاضِع، وَمُسْلِم فِي «صَحِيحِهِ» (رَقْم ٩٢٣)، مِنْ حَدِيث: أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «لَا تَحْزَنْ» - الْجُمُعَةُ ٢١ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٣هـ| ١٦-١٢-٢٠١١م.

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٧٥).

وَاجِبٍ أَوْ مُسْتَحَبٍّ، ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ وَعَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَعَلَىٰ أَقْدَارِهِ الْمُؤْلِمَةِ بِأَنْ يَحُثَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَىٰ الِانْقِيَادِ لِذَلِكَ، وَالْإِتْيَانِ بِهِ كَامِلًا مُنْشَرِحًا بِهِ الصَّدْرُ، مُطَمْئِنَّةٌ بِهِ النَّفْسُ.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ لِلْخَلْقِ؛ مِنْ إِعْطَاءِ مُحْتَاجِهِمْ، وَتَعْلِيمِ جَاهِلِهِمْ، وَالْقِيَامِ بِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، وَمُسَاعَدَتِهِمْ عَلَىٰ الْمَصَالِحِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، وَأَنْ يُحِبَّ لَهُمْ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُ لَهُمْ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ قَامُوا بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ، الَّذِينَ وَفَّقَهُمُ اللهُ لِاقْتِحَامِ هَذِهِ الْعَقَبَةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾؛ لِأَنَّهُمْ أَدَّوْا مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ مِنْ حُقُوقِهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ، وَتَرَكُوا مَا نَهَوْا عَنْهُ، وَهَذَا عُنْوَانُ السَّعَادَةِ وَعَلَامَتُهَا»(١).

❀❀❀

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٩٢٤).

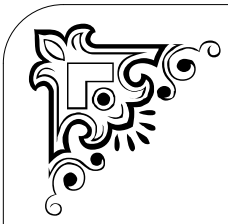

سُبُلُ اسْتِمْطَارِ رَحَمَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِذَا فَتَحَ اللهُ ﷻ عَلَى الْعَبْدِ أَبْوَابَ الرَّحْمَةِ نَالَهُ كُلُّ خَيْرٍ، وَأَدْرَكَ بِهِ كُلَّ بِرٍّ، ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

«يَقُولُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: مَفَاتِيحُ الْخَيْرِ وَمَغَالِقُهُ كُلُّهَا بِيَدِهِ؛ فَمَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ خَيْرٍ فَلَا مُغْلِقَ لَهُ، وَلَا مُمْسِكَ عَنْهُمْ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَمْرُهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَمْرَهُ أَحَدٌ، وَكَذَلِكَ مَا يُغْلِقُ مِنْ خَيْرٍ عَنْهُمْ فَلَا يَبْسُطُهُ عَلَيْهِمْ وَلَا يَفْتَحُهُ لَهُمْ، فَلَا فَاتِحَ لَهُ سِوَاهُ؛ لِأَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا إِلَيْهِ وَلَهُ»(١).

«ذَكَرَ انْفِرَادَهُ -تَعَالَىٰ- بِالتَّدْبِيرِ وَالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ فَقَالَ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ﴾ [فاطر: ٢] مِنْ رَحْمَتِهِ عَنْهُمْ ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾؛ فَهَذَا يُوجِبُ التَّعَلُّقَ بِاللهِ -تَعَالَىٰ-، وَالِافْتِقَارَ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، وَأَلَّا يُدْعَىٰ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُخَافَ وَيُرْجَىٰ إِلَّا هُوَ، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الَّذِي قَهَرَ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الَّذِي يَضَعُ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا وَيُنْزِلُهَا مَنَازِلَهَا»(٢).

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٠/ ٤٣٦).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٦٨٤).

فَتَعَرَّضُوا لِرَحْمَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، سَلُوهُ مِنْ فَضْلِهِ، خُذُوا بِأَسْبَابِ الْفَوْزِ بِرَحْمَتِهِ، فَقَدْ بَيَّنَهَا لَكُمْ فِي كِتَابِهِ، وَبَيَّنَهَا لَكُمْ رَسُولُهُ فِي سُنَّتِهِ، بِقَدْرِ مَا يَكُونُ مَعَكَ مِنْ أَسْبَابِ الرَّحْمَةِ يَكُونُ نَصِيبُكَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، فَالنَّاسُ بَيْنَ مُسْتَقِلٍّ وَمُسْتَكْثِرٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

«﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ مِنَ الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ، الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، فَلَا مَخْلُوقَ إِلَّا وَقَدْ وَصَلَتْ إِلَيْهِ رَحْمَةُ اللهِ، وَغَمَرَهُ فَضْلُهُ وَإِحْسَانُهُ، وَلَكِنَّ الرَّحْمَةَ الْخَاصَّةَ الْمُقْتَضِيَةَ لِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَيْسَتْ لِكُلِّ أَحَدٍ»(١).

«﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ آيَةٌ عَظِيمَةُ الشُّمُولِ وَالْعُمُومِ، كَقَوْلِهِ إِخْبَارًا عَنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ وَمَنْ حَوْلَهُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غَافِر: ٧].

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي صَلَاةٍ وَقُمْنَا مَعَهُ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا. فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ لِلْأَعْرَابِيِّ: «**لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا**»(٢)؛ يُرِيدُ رَحْمَةَ اللهِ.

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٣٠٥).

(٢) أَخْرَجَهُ البخاري (٦٠١٠).

وَعَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنْ لِلَّهِ ﷻ مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَمِنْهَا رَحْمَةٌ يَتَرَاحَمُ بِهَا الْخَلْقُ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوُحُوشُ عَلَىٰ أَوْلَادِهَا، وَأَخَّرَ تِسْعًا وَتِسْعِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(١)»(٢).

❀❀❀

(١) أَخْرَجَهُ مسلم (٢٧٥٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَىٰ وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

وهو عند البخاري (٦٤٦٩) أيضا بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ المُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ العَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ**».

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٨١).

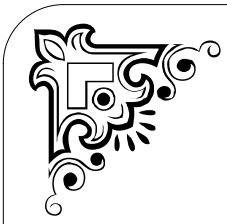

مِنْ سُبُلِ اسْتِمْطَارِ رَحَمَاتِ اللهِ:
التَّوْبَةُ وَالدُّعَاءُ وَالتَّأَلُّهُ للهِ جَلَّ وَعَلَا

إِنَّ لِمَغْفِرَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَرَحْمَتِهِ وَنَيْلِهِمَا أَسْبَابًا؛ إِنْ لَمْ يَأْتِ بِهَا الْعَبْدُ فَقَدْ أَغْلَقَ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَابَ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، أَعْظَمُهَا وَأَجَلُّهَا الْإِنَابَةُ إِلَىٰ اللهِ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ، وَالتَّأَلُّهِ وَالتَّعَبُّدِ، فَهَلُمَّ إِلَىٰ هَذَا السَّبَبِ الْأَجَلِّ وَالطَّرِيقِ الْأَعْظَمِ!

«وَلِهَذَا أَمَرَ -تَعَالَىٰ- بِالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالْمُبَادَرَةِ إِلَيْهِ؛ فَقَالَ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ بِقُلُوبِكُمْ، ﴿وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ بِجَوَارِحِكُمْ، إِذَا أُفْرِدَتِ الْإِنَابَةُ دَخَلَتْ فِيهَا أَعْمَالُ الْجَوَارِحِ، وَإِذَا جُمِعَ بَيْنَهُمَا -كَمَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ- كَانَ الْمَعْنَىٰ كَمَا مَرَّ.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ دَلِيلٌ عَلَىٰ الْإِخْلَاصِ، وَأَنَّهُ مِنْ دُونِ إِخْلَاصٍ لَا تُفِيدُ الْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ شَيْئًا، ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ مَجِيئًا لَا يُدْفَعُ، ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤]، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: مَا هِيَ الْإِنَابَةُ وَالْإِسْلَامُ؟ وَمَا جُزْئِيَّاتُهَا وَأَعْمَالُهَا؟

فَأَجَابَ -تَعَالَىٰ- بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥]، مِمَّا أَمَرَكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ؛ كَمَحَبَّةِ اللهِ وَخَشْيَتِهِ، وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ، وَالنُّصْحِ

لِعِبَادِهِ، وَمَحَبَّةِ الْخَيْرِ لَهُمْ، وَتَرْكِ مَا يُضَادُّ ذَلِكَ، وَمِنَ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ؛ كَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالصَّدَقَةِ وَأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَهُوَ أَحْسَنُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّنَا، فَالْمُتَتَبِّعُ لِأَوَامِرِ رَبِّهِ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ وَنَحْوِهَا هُوَ الْمُنِيبُ الْمُسْلِمُ، ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٥].

وَكُلُّ هَذَا حَثٌّ عَلَىٰ الْمُبَادَرَةِ وَانْتِهَازِ الْفُرْصَةِ»[١].(*).

وَقَدْ أَرْشَدَنَا اللهُ إِلَى أَنْ نَدْعُوَهُ أَنْ يَهَبَنَا مِنْ رَحْمَتِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

«﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ أَيْ: هَبْ لَنَا مِنْ عِنْدِكَ رَحْمَةً تَرْحَمُنَا بِهَا وَتَسْتُرُنَا عَنْ قَوْمِنَا، ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾؛ أَيْ: وَقَدِّرْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا هَذَا رَشَدًا، أَيْ: اجْعَلْ عَاقِبَتَنَا رَشَدًا»[٣].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: **﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾** [المؤمنون: ١١٨].

«﴿وَقُل﴾ دَاعِيًا لِرَبِّكَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ﴾ لَنَا حَتَّىٰ تُنْجِيَنَا مِنَ الْمَكْرُوهِ، وَارْحَمْنَا؛ لِتُوصِلَنَا بِرَحْمَتِكَ إِلَىٰ كُلِّ خَيْرٍ ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾، فَكُلُّ رَاحِمٍ لِلْعَبْدِ فَاللهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْهُ، أَرْحَمُ بِعَبْدِهِ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا، وَأَرْحَمُ بِهِ مِنْ نَفْسِهِ»[٤].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص٧٢٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ» - الْجُمُعَةُ ٢٧ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٦هـ| ١٩-١٢-٢٠١٤م.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٥/ ١٣٩).

(٤) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٥٦٠).

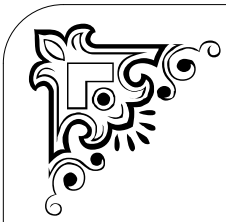

مِنْ سُبُلِ اسْتِمْطَارِ رَحَمَاتِ اللهِ: الْإِيمَانُ وَتَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ

إِنَّ الْأَسْبَابَ الَّتِي تُنَالُ بِهَا رَحْمَةُ اللهِ كَثِيرَةٌ وَمُتَنَوِّعَةٌ، فَمَا عَلَى الْعَبْدِ إِلَّا أَنْ يَجْتَهِدَ فِي سُلُوكِ مَا اسْتَطَاعَ مِنْهَا لِيَنَالَ رَحْمَةَ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ اسْتِمْطَارِ رَحَمَاتِ اللهِ: الْإِيمَانُ وَتَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الجاثية: ٣٠].

«﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إِيمَانًا صَحِيحًا وَصَدَقُوا إِيمَانَهُمْ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مِنْ وَاجِبَاتٍ وَمُسْتَحَبَّاتٍ ﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ الَّتِي مَحَلُّهَا الْجَنَّةُ وَمَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَالْعَيْشِ السَّلِيمِ، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ أَيِ: الْمَفَازُ وَالنَّجَاةُ وَالرِّبْحُ وَالْفَلَاحُ الْوَاضِحُ الْبَيِّنُ الَّذِي إِذَا حَصَلَ لِلْعَبْدِ حَصَلَ لَهُ كُلُّ خَيْرٍ وَانْدَفَعَ عَنْهُ كُلُّ شَرٍّ»(١).

«﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِاللهِ فِي الدُّنْيَا فَوَحَّدُوهُ، وَلَمْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَاهُمُ اللهُ عَنْهُ ﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾: يَعْنِي فِي جَنَّتِهِ بِرَحْمَتِهِ.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٧٧٨).

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ يَقُولُ: دُخُولُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللهِ -يَوْمَئِذٍ- هُوَ الظَّفَرُ بِمَا كَانُوا يَطْلُبُونَهُ، وَإِدْرَاكُ مَا كَانُوا يَسْعَوْنَ فِي الدُّنْيَا لَهُ، الْمُبِينُ غَايَتَهُمْ فِيهَا، أَنَّهُ هُوَ الْفَوْزُ»(١).

قَالَ ﷺ: «**حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنْ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنْ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ -تَعَالَىٰ- أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثَرِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدْ امْتَحشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**»(٢).

❀❀❀

(١) «تفسير الطبري» (٢٢/ ٨٥).

(٢) أَخْرَجَهُ البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

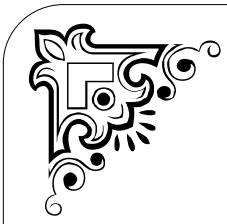

مِنْ سُبُلِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللهِ:
الْإِخْلَاصُ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَتَنَزَّلُ بِهَا رَحَمَاتُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: **الْإِخْلَاصُ لَهُ -سُبْحَانَهُ-**، «فَمَنْ خَلَصَتْ نِيَّتُهُ فِي الْحَقِّ وَلَوْ عَلَىٰ نَفْسِهِ كَفَاهُ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ تَزَيَّنَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ شَانَهُ اللهُ.

إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا خَلَصَتْ نِيَّتُهُ لِلَّهِ -تَعَالَىٰ-، وَكَانَ قَصْدُهُ وَهَمُّهُ وَعَمَلُهُ لِوَجْهِهِ -سُبْحَانَهُ- كَانَ اللهُ مَعَهُ؛ فَإِنَّهُ -سُبْحَانَهُ- مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ، وَرَأْسُ التَّقْوَىٰ وَالْإِحْسَانِ خُلُوصُ النِّيَّةِ لِلَّهِ فِي إِقَامَةِ الْحَقِّ، وَاللهُ -سُبْحَانَهُ- لَا غَالِبَ لَهُ، فَمَنْ كَانَ مَعَهُ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَغْلِبُهُ أَوْ يَنَالُهُ بِسُوءٍ؟!! فَإِنْ كَانَ اللهُ مَعَ الْعَبْدِ فَمَنْ يَخَافُ؟ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ فَمَنْ يَرْجُو؟ وَبِمَنْ يَثِقُ؟ وَمَنْ يَنْصُرُهُ مِنْ بَعْدِهِ؟

فَإِذَا قَامَ الْعَبْدُ بِالْحَقِّ عَلَىٰ غَيْرِهِ وَعَلَىٰ نَفْسِهِ أَوَّلًا، وَكَانَ قِيامُهُ بِاللهِ وَلِلَّهِ لَمْ يَقُمْ لَهُ شَيْءٌ، وَلَوْ كَادَتْهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ لَكَفَاهُ اللهُ مُؤْنَتَهَا، وَجَعَلَ لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا»[1]. (*).

---

(١) «إعلام الموقعين» لابن القيم (٢/ ١٢١) ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَاب: «آفَاتُ الْعِلْمِ» (ص: ١٤٩).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢].

«مَا يَفْتَحُ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رِزْقٍ وَمَطَرٍ وَصِحَّةٍ وَعِلْمٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النِّعَمِ فَلَا أَحَدَ يَقْدِرُ أَنْ يُمْسِكَ هَذِهِ الرَّحْمَةَ، وَمَا يُمْسِك مِنْهَا فَلَا أَحَدَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُرْسِلَهَا بَعْدَهُ ﷻ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْقَاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ، الْحَكِيمُ الَّذِي يُرْسِلُ الرَّحْمَةَ وَيُمْسِكُهَا وَفْقَ حِكْمَتِهِ»(١).

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٣٦].

«أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ مُحَمَّدًا وَعِيدَ الْمُشْرِكِينَ وَكَيْدَهُمْ مِنْ أَنْ يَنَالُوهُ بِسُوءٍ؟ بَلَىٰ إِنَّهُ سَيَكْفِيهِ فِي أَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَيَدْفَعُ عَنْهُ مَنْ أَرَادَهُ بِسُوءٍ، وَيُخَوِّفُونَكَ -أَيُّهَا الرَّسُولُ- بِآلِهَتِهِمُ الَّتِي زَعَمُوا أَنَّهَا سَتُؤْذِيكَ، وَمَنْ يَخْذُلُهُ اللهُ فَيُضِلُّهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ يَهْدِيهِ إِلَيْهِ»(٢).

❀❀❀

(١) «التفسير الميسر» (ص٤٣٤).

(٢) «التفسير الميسر» (ص٤٦٢).

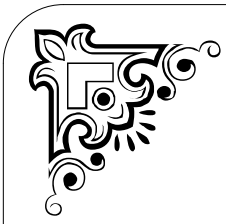

مِنْ سُبُلِ اسْتِمْطَارِ رَحَمَاتِ اللهِ:
اتِّبَاعُ كِتَابِ اللهِ وَالْعَمَلُ بِهِ

مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُنَالُ بِهَا رَحْمَةُ اللهِ: اتِّبَاعُ كِتَابِ اللهِ وَالْعَمَلُ بِهِ، وَالِاسْتِمَاعُ وَالْإِنْصَاتُ لَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

«وَهَذَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ أَيْ: فِيهِ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ وَالْعِلْمُ الْغَزِيرُ، وَهُوَ الَّذِي تُسْتَمَدُّ مِنْهُ سَائِرُ الْعُلُومِ، وَتُسْتَخْرَجُ مِنْهُ الْبَرَكَاتُ، فَمَا مِنْ خَيْرٍ إِلَّا وَقَدْ دَعَا إِلَيْهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، وَذَكَرَ الْحِكَمَ وَالْمَصَالِحَ الَّتِي تَحُثُّ عَلَيْهِ، وَمَا مِنْ شَرٍّ إِلَّا وَقَدْ نَهَىٰ عَنْهُ وَحَذَّرَ مِنْهُ، وَذَكَرَ الْأَسْبَابَ الْمُنَفِّرَةَ عَنْ فِعْلِهِ وَعَوَاقِبَهَا الْوَخِيمَةَ، ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَىٰ، وَابْنُوا أُصُولَ دِينِكُمْ وَفُرُوعَهُ عَلَيْهِ، ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ اللهَ -تَعَالَىٰ- أَنْ تُخَالِفُوا لَهُ أَمْرًا ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ إِنِ اتَّبَعْتُمُوهُ ﴿تُرْحَمُونَ﴾؛ فَأَكْبَرُ سَبَبٍ لِنَيْلِ رَحْمَةِ اللهِ اتِّبَاعُ هَذَا الْكِتَابِ عِلْمًا وَعَمَلًا»(١).

«﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾: وَهَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾: فَاجْعَلُوهُ إِمَامًا تَتَّبِعُونَهُ وَتَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٢٨٠).

-أَيُّهَا النَّاسُ- ﴿وَٱتَّقُواْ﴾: وَاحْذَرُوا اللهَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَنْ تُضَيِّعُوا الْعَمَلَ بِمَا فِيهِ، وَتَتَعَدَّوْا حُدُودَهُ، وَتَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَهُ، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: لِتُرْحَمُوا، فَتَنْجُوا مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَأَلِيمِ عِقَابِهِ»(١).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

[الأعراف: ٢٠٤].

«يَقُولُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ، الْمُصَدِّقِينَ بِكِتَابِهِ، الَّذِينَ الْقُرْآنُ لَهُمْ هُدًىٰ وَرَحْمَةٌ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ﴾ عَلَيْكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- ﴿ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ﴾: أَصْغُوا لَهُ سَمْعَكُمْ؛ لِتَتَفَهَّمُوا آيَاتِهِ، وَتَعْتَبِرُوا بِمَوَاعِظِهِ ﴿وَأَنصِتُواْ﴾ إِلَيْهِ لِتَعْقِلُوهُ وَتَتَدَبَّرُوهُ، وَلَا تَلْغُوا فِيهِ فَلَا تَعْقِلُوهُ ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: لِيَرْحَمَكُمْ رَبُّكُمْ بِاتِّعَاظِكُمْ بِمَوَاعِظِهِ، وَاعْتِبَارِكُمْ بِعِبَرِهِ، وَاسْتِعْمَالِكُمْ مَا بَيَّنَهُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ فِي آيِهِ»(٢).

«﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: هَذَا الْأَمْرُ عَامٌّ فِي كُلِّ مَنْ سَمِعَ كِتَابَ اللهِ يُتْلَىٰ، فَإِنَّهُ مَأْمُورٌ بِالِاسْتِمَاعِ لَهُ وَالْإِنْصَاتِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الِاسْتِمَاعِ وَالْإِنْصَاتِ أَنَّ الْإِنْصَاتَ فِي الظَّاهِرِ بِتَرْكِ التَّحَدُّثِ أَوِ الِاشْتِغَالِ بِمَا يَشْغَلُ عَنِ اسْتِمَاعِهِ، وَأَمَّا الِاسْتِمَاعُ لَهُ فَهُوَ أَنْ يُلْقِيَ سَمْعَهُ، وَيُحْضِرَ قَلْبَهُ وَيَتَدَبَّرَ مَا يَسْتَمِعُ، فَإِنَّ مَنْ لَازَمَ عَلَىٰ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ حِينَ يُتْلَىٰ كِتَابُ اللهِ فَإِنَّهُ يَنَالُ خَيْرًا كَثِيرًا وَعِلْمًا غَزِيرًا، وَإِيمَانًا مُسْتَمِرًّا مُتَجَدِّدًا، وَهُدًىٰ مُتَزَايِدًا، وَبَصِيرَةً فِي دِينِهِ.

---

(١) «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٣٨).

(٢) «تفسير الطبري» (١٣/ ٣٤٤).

وَلِهَذَا رَتَّبَ اللهُ حُصُولَ الرَّحْمَةِ عَلَيْهِمَا، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ تُلِيَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَلَمْ يَسْتَمِعْ لَهُ وَيُنْصِتْ أَنَّهُ مَحْرُومُ الْحَظِّ مِنَ الرَّحْمَةِ، قَدْ فَاتَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ»(١).

وَعَنِ الْأَغَرِّ أَبِي مُسْلِمٍ أَنَّهُ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَىٰ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ**(٢)، **وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ**(٣)، **وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ**(٤)، **اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٥). (*).

لَقَدْ وَصَفَ اللهُ كِتَابَهُ بِأَوْصَافٍ جَلِيلَةٍ عَظِيمَةٍ تَنْطَبِقُ عَلَىٰ جَمِيعِهِ، وَتَدُلُّ أَكْبَرَ دَلَالَةٍ عَلَىٰ أَنَّهُ الْأَصْلُ وَالْأَسَاسُ لِجَمِيعِ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ، وَالْفُنُونِ الْمُرْشِدَةِ لِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

---

(١) «**تيسير الكريم الرحمن**» (ص٣١٤).

(٢) «**حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ**»، أي: أحاطت بهم من جوانبهم.

(٣) «**وغشيتهم**»، أي: علتهم وسترتهم «**الرحمة**» من الله تعالىٰ.

(٤) «**السَّكِينَةُ**» من السّكُون، والمراد بالسكينة هنا الطمأنينة والوقار.

وَيَجُوزُ فِي مِثْلِ هَذَا التَّرْكِيبِ كَسْرُ الْهَاءِ وَضَمُّ الْمِيمِ فِي «**عَلَيْهِم**» وَهُوَ الْأَكْثَرُ، وَضَمُّهُمَا، وَكَسْرُهُمَا.

(٥) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (٤/ ٢٠٧٤، رقم ٢٧٠٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «ذِكْرُ اللهِ وَظِيفَةُ الْحَيَاةِ» - الْجُمُعَةُ ٢٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٨هـ| ١٥-٩-٢٠١٧م.

وَصَفَهُ بِأَنَّهُ رَحْمَةٌ، وَهِيَ الْخَيْرُ الدِّينِيُّ وَالدُّنْيَوِيُّ وَالْأُخْرَوِيُّ الْمُتَرَتِّبُ عَلَىٰ الِاهْتِدَاءِ بِالْقُرْآنِ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ أَعْظَمَ اهْتِدَاءً بِهِ فَلَهُ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ بِحَسَبِ ذَلِكَ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ تَيْسِيرِ اللَّطِيفِ الْمَنَّانِ فِي خُلَاصَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَىٰ)، الْأَحَدُ ١٦ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٤هـ| ٢٢-٩-٢٠١٣م.

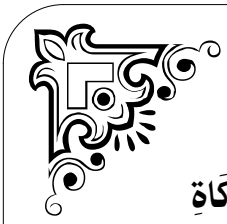

مِنْ أَسْبَابِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللهِ:
طَاعَةُ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ هُنَاكَ طُرُقًا كَثِيرَةً وَأَسْبَابًا عَدِيدَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَجْلِبَ رَحْمَةَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمِنْ أَعْظَمِ وَأَجَلِّ تِلْكَ الْأَسْبَابِ: الْإِيمَانُ بِاللهِ، وَالتَّقْوَى، وَاتِّبَاعُ رَسُولِهِ ﷺ، وَطَاعَةُ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧].

«﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ مِنَ الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ، الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، فَلَا مَخْلُوقَ إِلَّا وَقَدْ وَصَلَتْ إِلَيْهِ رَحْمَةُ اللهِ، وَغَمَرَهُ فَضْلُهُ وَإِحْسَانُهُ، وَلَكِنَّ الرَّحْمَةَ الْخَاصَّةَ الْمُقْتَضِيَةَ لِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَيْسَتْ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَلِهَذَا قَالَ عَنْهَا: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الْمَعَاصِيَ صِغَارَهَا وَكِبَارَهَا، ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الْوَاجِبَةَ مُسْتَحِقِّيهَا، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وَمِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ بِآيَاتِ اللهِ مَعْرِفَةُ مَعْنَاهَا، وَالْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهَا، وَمِنْ ذَلِكَ اتِّبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ.

﴿ **ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ** ﴾ احْتِرَازٌ عَنْ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ الْمَقْصُودَ بِهَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ، وَالسِّيَاقُ فِي أَحْوَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ شَرْطٌ فِي دُخُولِهِمْ فِي الْإِيمَانِ، **وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ الْمُتَّبِعِينَ هُمْ أَهْلُ الرَّحْمَةِ الْمُطْلَقَةِ الَّتِي كَتَبَهَا اللهُ لَهُمْ**، وَوَصَفَهُ بِالْأُمِّيِّ لِأَنَّهُ مِنَ الْعَرَبِ الْأُمَّةِ الْأُمِّيَّةِ، الَّتِي لَا تَقْرَأُ وَلَا تَكْتُبُ، وَلَيْسَ عِنْدَهَا قَبْلَ الْقُرْآنِ كِتَابٌ.

﴿ **ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ** ﴾ بِاسْمِهِ وَصِفَتِهِ الَّتِي مِنْ أَعْظَمِهَا وَأَجَلِّهَا مَا يَدْعُو إِلَيْهِ وَيَنْهَىٰ عَنْهُ، وَأَنَّهُ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَهُوَ كُلُّ مَا عُرِفَ حُسْنُهُ وَصَلَاحُهُ وَنَفْعُهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُوَ كُلُّ مَا عُرِفَ قُبْحُهُ فِي الْعُقُولِ وَالْفِطَرِ.

فَيَأْمُرُهُمْ بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَىٰ الْجَارِ وَالْمَمْلُوكِ، وَبَذْلِ النَّفْعِ لِسَائِرِ الْخَلْقِ، وَالصِّدْقِ، وَالْعَفَافِ، وَالْبِرِّ، وَالنَّصِيحَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَقَتْلِ النُّفُوسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَالزِّنَا، وَشُرْبِ مَا يُسْكِرُ الْعَقْلَ، وَالظُّلْمِ لِسَائِرِ الْخَلْقِ، وَالْكَذِبِ، وَالْفُجُورِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

فَأَعْظَمُ دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ مَا دَعَا إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ وَنَهَىٰ عَنْهُ، وَأَحَلَّهُ وَحَرَّمَهُ، فَإِنَّهُ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَنَاكِحِ، ﴿ **وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ** ﴾ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَنَاكِحِ، وَالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ.

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ أَيْ: وَمِنْ وَصْفِهِ أَنَّ دِينَهُ سَهْلٌ سَمْحٌ مُيَسَّرٌ، لَا إِصْرَ فِيهِ، وَلَا أَغْلَالَ، وَلَا مَشَقَّاتِ وَلَا تَكَالِيفَ ثِقَالًا.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ﴾ أَيْ: عَظَّمُوهُ وَبَجَّلُوهُ ﴿وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ وَهُوَ الْقُرْآنُ، الَّذِي يُسْتَضَاءُ بِهِ فِي ظُلُمَاتِ الشَّكِّ وَالْجَهَالَاتِ، وَيُقْتَدَىٰ بِهِ إِذَا تَعَارَضَتِ الْمَقَالَاتُ، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الظَّافِرُونَ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالنَّاجُونَ مِنْ شَرِّهِمَا؛ لِأَنَّهُمْ أَتَوْا بِأَكْبَرِ أَسْبَابِ الْفَلَاحِ.

وَأَمَّا مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَذَا النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَيُعَزِّرْهُ، وَيَنْصُرْهُ، وَلَمْ يَتَّبِعِ النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ»(١).

يَقُولُ اللهُ -تَعَالَى- فِي آيَةٍ أُخْرَى فِي بَيَانِ مَنْ سَيَنَالُونَ رَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

«وَأَمَّا **الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ** وَهُمُ الْمُصَدِّقُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَآيَاتِ كِتَابِهِ إِنَّ صِفَتَهُمْ: أَنَّ بَعْضَهُمْ أَنْصَارُ بَعْضٍ وَأَعْوَانُهُمْ ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: وَيُؤَدُّونَ الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: وَيُعْطُونَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ أَهْلَهَا، ﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾: فَيَأْتَمِرُونَ لِأَمْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَيَنْتَهُونَ عَمَّا نَهَيَاهُمْ عَنْهُ.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٣٠٥).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمُ الَّذِينَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ، فَيُنْقِذُهُمْ مِنْ عَذَابِهِ، وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّتَهُ، لَا أَهْلَ النِّفَاقِ وَالتَّكْذِيبِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، النَّاهُونَ عَنِ الْمَعْرُوفِ، الْآمِرُونَ بِالْمُنْكَرِ، الْقَابِضُونَ أَيْدِيَهُمْ عَنْ أَدَاءِ حَقِّ اللهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: إِنَّ اللهَ ذُو عِزَّةٍ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنِ انْتَقَمَ مِنْ خَلْقِهِ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ وَكُفْرِهِ بِهِ، لَا يَمْنَعُهُ مِنَ الِانْتِقَامِ مِنْهُ مَانِعٌ، وَلَا يَنْصُرُهُ مِنْهُ نَاصِرٌ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِنْهُمْ وَفِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ»(١).

«إِنَّ تَرْكَ الْمَعَاصِي يُنْجِي مِنَ النَّارِ، وَيَقِي مِنْ سَخَطِ الْجَبَّارِ، وَأَفْعَالُ الْخَيْرِ وَالطَّاعَةِ تُوجِبُ رِضَا الرَّحْمَنِ، وَدُخُولَ الْجِنَانِ، وَحُصُولَ الرَّحْمَةِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ بِفِعْلِ الْأَوَامِرِ امْتِثَالًا وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، فَطَاعَةُ اللهِ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ مِنْ أَسْبَابِ حُصُولِ الرَّحْمَةِ»(٢).

تُنَالُ رَحْمَةُ اللهِ ﷻ بِتَقْوَاهُ كَمَا ذَكَرَ اللهُ: ﴿وَلِنَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٣].

«وَتَفْعَلُوا الْأَسْبَابَ الْمُنْجِيَةَ مِنَ اسْتِعْمَالِ تَقْوَىٰ اللهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَبِذَلِكَ تَحْصُلُ عَلَيْهِمْ وَتَنْزِلُ رَحْمَةُ اللهِ الْوَاسِعَةِ»(٣).

---

(١) «تفسير الطبري» (١٤/ ٣٤٧).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص١٤٧).

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٢٩٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا! امْتَثِلُوا أَوَامِرَ اللهِ وَاجْتَنِبُوا نَوَاهِيهِ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ؛ يُؤْتِكُمْ ضِعْفَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَهْتَدُونَ بِهِ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَاللهُ غَفُورٌ لِعِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ»(١).

رَحْمَةُ اللهِ تُنَالُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ ﷺ، فَلِلهِ كَمْ مِنَ الرَّحَمَاتِ الَّتِي تَنْزِلُ عَلَى الْمُصَلِّينَ وَهُمْ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِمْ يَتْلُونَ كِتَابَهُ وَيَرْكَعُونَ لَهُ وَيَسْجُدُونَ، قال تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

«يَأْمُرُ -تَعَالَىٰ- بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ بِأَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا وَآدَابِهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَبِإِيتَاءِ الزَّكَاةِ مِنَ الْأَمْوَالِ الَّتِي اسْتَخْلَفَ اللهُ عَلَيْهَا الْعِبَادَ، وَأَعْطَاهُمْ إِيَّاهَا، بِأَنْ يُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ وَغَيْرَهُمْ مِمَّنْ ذَكَرَهُمُ اللهُ لِمَصْرِفِ الزَّكَاةِ، فَهَذَانِ أَكْبَرُ الطَّاعَاتِ وَأَجَلُّهُمَا، جَامِعَتَانِ لَحَقِّهِ وَحَقِّ خَلْقِهِ، لِلْإِخْلَاصِ لِلْمَعْبُودِ وَلِلْإِحْسَانِ إِلَىٰ الْعَبِيدِ.

ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِمَا الْأَمْرَ الْعَامَّ فَقَالَ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾: وَذَلِكَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ حِينَ تَقُومُونَ بِذَلِكَ ﴿تُرْحَمُونَ﴾؛ فَمَنْ أَرَادَ الرَّحْمَةَ فَهَذَا طَرِيقُهَا، وَمَنْ رَجَاهَا مِنْ دُونِ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَإِطَاعَةِ الرَّسُولِ فَهُوَ مُتَمَنٍّ كَاذِبٌ، وَقَدْ مَنَّتْهُ نَفْسُهُ الْأَمَانِي الْكَاذِبَةَ»(٢).

---

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٤١).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٥٧٣).

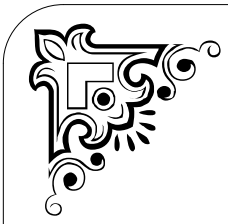

مِنْ أَسْبَابِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللهِ:
الاِسْتِغْفَارُ

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ تُكْثِرُوا مِنَ الاِسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦].

«﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ﴾ أَيْ: لِمَ تُبَادِرُونَ فِعْلَ السَّيِّئَاتِ وَتَحْرِصُونَ عَلَيْهَا قَبْلَ فِعْلِ الْحَسَنَاتِ، الَّتِي بِهَا تَحْسُنُ أَحْوَالُكُمْ وَتَصْلُحُ أُمُورُكُمُ الدِّينِيَّةُ وَالدُّنْيَوِيَّةُ؟ وَالْحَالُ أَنَّهُ لَا مُوجِبَ لَكُمْ إِلَىٰ الذَّهَابِ لِفِعْلِ السَّيِّئَاتِ.

﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ بِأَنْ تَتُوبُوا مِنْ شِرْكِكُمْ وَعِصْيَانِكُمْ، وَتَدْعُونَ أَنْ يَغْفِرَ لَكُمْ، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فَإِنَّ رَحْمَةَ اللهِ تَعَالَىٰ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، وَالتَّائِبُ مِنَ الذُّنُوبِ هُوَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ»(١).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٦٠٦).

«يَقُولُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ شُعَيْبٍ لِقَوْمِهِ: ﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ**﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنْ ذُنُوبِكُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمُ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا مُقِيمُونَ؛ مِنْ عِبَادَةِ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ، وَبَخْسِ النَّاسِ حُقُوقَهُمْ فِي الْمَكَايِيلِ وَالْمَوَازِينِ، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ﴾: ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَىٰ طَاعَتِهِ وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾: هُوَ رَحِيمٌ بِمَنْ تَابَ وَأَنَابَ إِلَيْهِ أَنْ يُعَذِّبَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ ﴿وَدُودٌ﴾: ذُو مَحَبَّةٍ لِمَنْ أَنَابَ وَتَابَ إِلَيْهِ، يَوَدُّهُ وَيُحِبُّهُ»(١).

(١) «تفسير الطبري» (١٥/ ٤٥٦).

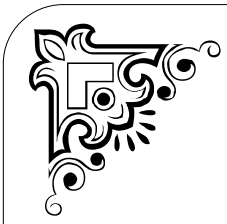

مِنْ أَسْبَابِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللهِ:
الْإِحْسَانُ

مِنْ أَسْبَابِ رَحْمَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **الْإِحْسَانُ، قَالَ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

«﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فِي عِبَادَةِ اللهِ، الْمُحْسِنِينَ إِلَىٰ عِبَادِ اللهِ، فَكُلَّمَا كَانَ الْعَبْدُ أَكْثَرَ إِحْسَانًا كَانَ أَقْرَبَ إِلَىٰ رَحْمَةِ رَبِّهِ، وَكَانَ رَبُّهُ قَرِيبًا مِنْهُ بِرَحْمَتِهِ، وَفِي هَذَا مِنَ الْحَثِّ عَلَىٰ الْإِحْسَانِ مَا لَا يَخْفَىٰ»(١).

«لَقَدْ أَمَرَ اللهُ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ: الْإِحْسَانُ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْلِيمُ الْعِلْمِ النَّافِعِ.

وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ: قَضَاءُ حَوَائِجِ النَّاسِ؛ مِنْ تَفْرِيجِ كُرُبَاتِهِمْ، وَإِزَالَةِ شِدَّاتِهِمْ، وَعِيَادَةِ مَرْضَاهُمْ، وَتَشْيِيعِ جَنَائِزِهِمْ، وَإِرْشَادِ ضَالِّهِمْ، وَإِعَانَةِ مَنْ يَعْمَلُ عَمَلًا، وَالْعَمَلِ لِمَنْ لَا يُحْسِنُ الْعَمَلَ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مِنَ الْإِحْسَانِ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ.

وَيَدْخُلُ فِي الْإِحْسَانِ -أَيْضًا-: الْإِحْسَانُ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ»(٢).

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٢٩١).

(٢) «تيسير الكرين الرحمن» (ص٩٠).

قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وَأَحْسِنُوا الْعَمَلَ مَعَ اللهِ -تَعَالَىٰ-؛ بِالْقِيَامِ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنَ الْإِخْلَاصِ، وَصِدْقِ النِّيَّةِ.

وَأَحْسِنُوا الْعَمَلَ مَعَ خَلْقِ اللهِ؛ بِالْبِرِّ، وَالْعَفْوِ، وَالْإِنْفَاقِ عَلَىٰ مَنْ تَلْزَمُكُمْ نَفَقَتُهُ.

إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، وَيُثِيبُهُمْ عَلَىٰ إِحْسَانِهِمْ، وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ؛ لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّهُ اللهُ أَكْرَمَهُ، **وَأَدْخَلَهُ فِي رَحْمَتِهِ**.(*).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وَالْإِحْسَانُ نَوْعَانِ:

* الْإِحْسَانُ فِي عِبَادَةِ الْخَالِقِ.

* وَالْإِحْسَانُ إِلَىٰ الْمَخْلُوقِ.

فَالْإِحْسَانُ فِي عِبَادَةِ الْخَالِقِ فَسَّرَهَا النَّبِيُّ ﷺ -كَمَا فِي «الصَّحِيحِ»- فَقَالَ: **«أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»**.

وَأَمَّا الْإِحْسَانُ إِلَىٰ الْمَخْلُوقِ؛ فَهُوَ إِيصَالُ النَّفْعِ الدِّينِيِّ وَالدُّنْيَوِيِّ إِلَيْهِمْ، وَدَفْعُ الشَّرِّ الدِّينِيِّ وَالدُّنْيَوِيِّ عَنْهُمْ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مَا مَرَّ مُخْتَصَرٌ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [البقرة: ١٩٥].

فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ: أَمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْلِيمُ جَاهِلِهِمْ، وَوَعْظُ غَافِلِهِمْ، وَالنَّصِيحَةُ لِعَامَّتِهِمْ وَخَاصَّتِهِمْ، وَالسَّعْيُ فِي جَمْعِ كَلِمَتِهِمْ، وَإِيصَالُ الصَّدَقَاتِ وَالنَّفَقَاتِ الْوَاجِبَةِ وَالْمُسْتَحَبَّةِ إِلَيْهِمْ، عَلَىٰ اخْتِلَافِ أَحْوَالِهِمْ وَتَبَايُنِ أَوْصَافِهِمْ.

فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ بَذْلُ النَّدَىٰ، وَكَفُّ الْأَذَىٰ، وَاحْتِمَالُ الْأَذَىٰ، كَمَا وَصَفَ اللهُ بِهِ الْمُتَّقِينَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ.

فَمَنْ قَامَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ؛ فَقَد قَامَ بِحَقِّ اللهِ وَحَقِّ عِبَادِهِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «التَّسَامُحُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ» - الْجُمُعَة ١١ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٨هـ - ١٠-٣-٢٠١٧م.

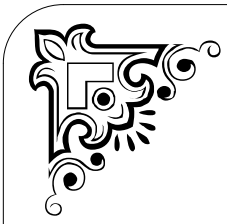

مِنْ أَسْبَابِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللهِ:
الْإِيمَانُ وَالْهِجْرَةُ وَالْجِهَادُ

مِنْ أَسْبَابِ رَحْمَةِ الرَّحِيمِ بِعِبَادِهِ: الْإِيمَانُ وَالْهِجْرَةُ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

«هَذِهِ الْأَعْمَالُ الثَّلَاثَةُ هِيَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ وَقُطْبُ رَحَىٰ الْعُبُودِيَّةِ، وَبِهَا يُعْرَفُ مَا مَعَ الْإِنْسَانِ مِنَ الرِّبْحِ وَالْخُسْرَانِ.

فَأَمَّا الْإِيمَانُ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ فَضِيلَتِهِ، وَكَيْفَ تَسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ هُوَ الْفَاصِلُ بَيْنَ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَهْلِ الشَّقَاوَةِ، وَأَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ وَهُوَ الَّذِي إِذَا كَانَ مَعَ الْعَبْدِ قُبِلَتْ أَعْمَالُ الْخَيْرِ مِنْهُ، وَإِذَا عُدِمَ مِنْهُ لَمْ يُقْبَلْ لَهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ، وَلَا فَرْضٌ وَلَا نَفْلٌ.

وَأَمَّا الْهِجْرَةُ: فَهِيَ مُفَارَقَةُ الْمَحْبُوبِ الْمَأْلُوفِ لِرِضَا اللهِ -تَعَالَىٰ-، فَيَتْرُكُ الْمُهَاجِرُ وَطَنَهُ وَأَمْوَالَهُ وَأَهْلَهُ وَخُلَّانَهُ، تَقَرُّبًا إِلَىٰ اللهِ وَنُصْرَةً لِدِينِهِ.

وَأَمَّا الْجِهَادُ: فَهُوَ بَذْلُ الْجُهْدِ فِي مُقَارَعَةِ الْأَعْدَاءِ، وَالسَّعْيُ التَّامُّ فِي نُصْرَةِ دِينِ اللهِ وَقَمْعِ دِينِ الشَّيْطَانِ، وَهُوَ ذُرْوَةُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَجَزَاؤُهُ أَفْضَلُ

الْجَزَاءِ، وَهُوَ السَّبَبُ الْأَكْبَرُ لِتَوْسِيعِ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ، وَخِذْلَانِ عُبَّادِ الْأَصْنَامِ، وَأَمْنِ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ، فَمَنْ قَامَ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ الثَّلَاثَةِ عَلَىٰ لَأْوَائِهَا وَمَشَقَّتِهَا كَانَ لِغَيْرِهَا أَشَدَّ قِيَامًا بِهِ وَتَكْمِيلًا.

فَحَقِيقٌ بِهَؤُلَاءِ أَنْ يَكُونُوا هُمُ الرَّاجُونَ رَحْمَةَ اللهِ؛ لِأَنَّهُمْ أَتَوْا بِالسَّبَبِ الْمُوجِبِ لِلرَّحْمَةِ، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الرَّجَاءَ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ الْقِيَامِ بِأَسْبَابِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا الرَّجَاءُ الْمُقَارِنُ لِلْكَسَلِ وَعَدَمِ الْقِيَامِ بِالْأَسْبَابِ فَهَذَا عَجْزٌ وَتَمَنٍّ وَغُرُورٌ، وَهُوَ دَالٌّ عَلَىٰ ضَعْفِ هِمَّةِ صَاحِبِهِ، وَنَقْصِ عَقْلِهِ، بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَرْجُو وُجُودَ وَلَدٍ بِلَا نِكَاحٍ، وَوُجُودِ الْغَلَّةِ بِلَا بَذْرٍ وَسَقْيٍ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ الْعَبْدَ وَلَوْ أَتَىٰ مِنَ الْأَعْمَالِ بِمَا أَتَىٰ بِهِ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَيْهَا وَيُعَوِّلَ عَلَيْهَا، بَلْ يَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ، وَيَرْجُو قَبُولَ أَعْمَالِهِ وَمَغْفِرَةَ ذُنُوبِهِ وَسَتْرَ عُيُوبِهِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ أَيْ: لِمَنْ تَابَ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴿رَّحِيمٌ﴾ وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَعَمَّ جُودُهُ وَإِحْسَانُهُ كُلَّ حَيٍّ.

وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ قَامَ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ الْمَذْكُورَةِ حَصَلَ لَهُ مَغْفِرَةُ اللهِ؛ إِذِ الْحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، وَحَصَلَتْ لَهُ رَحْمَةُ اللهِ، وَإِذَا حَصَلَتْ لَهُ الْمَغْفِرَةُ انْدَفَعَتْ عَنْهُ عُقُوبَاتُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الَّتِي هِيَ آثَارُ الذُّنُوبِ الَّتِي قَدْ غُفِرَتْ وَاضْمَحَلَّتْ آثَارُهَا، وَإِذَا حَصَلَتْ لَهُ الرَّحْمَةُ حَصَلَ عَلَىٰ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، بَلْ أَعْمَالُهُمِ الْمَذْكُورَةُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِهِمْ، فَلَوْلَا تَوْفِيقُهُ إِيَّاهُمْ لَمْ

يُرِيدُوهَا، وَلَوْلَا إِقْدَارُهُمْ عَلَيْهَا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهَا، وَلَوْلَا إِحْسَانُهُ لَمْ يُتِمَّهَا وَيَقْبَلْهَا مِنْهُمْ، فَلَهُ الْفَضْلُ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَهُوَ الَّذِي مَنَّ بِالسَّبَبِ وَالْمُسَبَّبِ»[1].

❀❀❀

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٩٨).

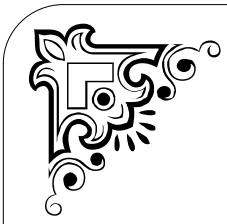

مِنْ سُبُلِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللهِ:
خَشْيَةُ اللهِ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِرَحْمَةِ اللهِ -تَعَالَى-: خَشْيَةُ اللهِ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَخَوْفُ اللهِ وَرَجَاؤُهُ يُورِثَانِ الْعَبْدَ فَضْلَ اللهِ وَرَحْمَتَهُ وَغُفْرَانَهُ، قَالَ ﷻ: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

«﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ أَيْ: سَكَنَ غَضَبُهُ، وَتَرَاجَعَتْ نَفْسُهُ، وَعَرَفَ مَا هُوَ فِيهِ، اشْتَغَلَ بِأَهَمِّ الْأَشْيَاءِ عِنْدَهُ، فَـ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ﴾ الَّتِي أَلْقَاهَا، وَهِيَ أَلْوَاحٌ عَظِيمَةُ الْمِقْدَارِ، جَلِيلَةٌ ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ أَيْ: مُشْتَمِلَةٌ وَمُتَضَمِّنَةٌ ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ أَيْ: فِيهَا الْهُدَىٰ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَبَيَانُ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَأَعْمَالُ الْخَيْرِ وَأَعْمَالُ الشَّرِّ، وَالْهُدَىٰ لِأَحْسَنِ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ، وَرَحْمَةٌ وَسَعَادَةٌ لِمَنْ عَمِلَ بِهَا، وَعَلِمَ أَحْكَامَهَا وَمَعَانِيَهَا، وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَقْبَلُ هُدَىٰ اللهِ وَرَحْمَتَهُ، وَإِنَّمَا يَقْبَلُ ذَلِكَ وَيَنْقَادُ لَهُ وَيَتَلَقَّاهُ بِالْقَبُولِ الَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ؛ أَيْ: يَخَافُونَ مِنْهُ وَيَخْشَوْنَهُ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَخَفِ اللهَ وَلَا الْمَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِنَّهُ لَا يَزْدَادُ بِهَا إِلَّا عُتُوًّا وَنُفُورًا وَتَقُومُ عَلَيْهِ حُجَّةُ اللهِ فِيهَا»(١).

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٣٠٣).

«﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾: لِلَّذِينِ يَخَافُونَ اللهَ وَيَخْشَوْنَ عِقَابَهُ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ»(١).

وَرَوَىٰ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ -أَيْ: رَزَقَهُ- اللهُ مَالًا، فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟

قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ.

قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ؛ فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، فَفَعَلُوا فَجَمَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟

قَالَ: مَخَافَتُكَ، فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ»(٢).

❀❀❀

(١) «تفسير الطبري» (١٣/ ١٣٨).

(٢) أَخْرَجَهُ البخاري (٣٤٧٨)، ومسلم (٢٧٥٧) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفي لفظ مسلم: «فَقَالَ اللهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا فَعَلْتَ؟ فَقَالَ: مَخَافَتُكَ، قَالَ فَمَا تَلَافَاهُ غَيْرُهَا».

مِنْ أَسْبَابِ اسْتِمْطَارِ رَحَمَاتِ اللهِ: الصَّبْرُ عِنْدَ الْبَلَاءِ

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِرَحْمَةِ اللهِ -تَعَالَى-: الصَّبْرُ عَلَى الْمَصَائِبِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

«أَخْبَرَ -تَعَالَىٰ- أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَبْتَلِيَ عِبَادَهُ بِالْمِحَنِ، لِيَتَبَيَّنَ الصَّادِقُ مِنَ الْكَاذِبِ، وَالْجَازِعُ مِنَ الصَّابِرِ، وَهَذِهِ سُنَّتُهُ -تَعَالَىٰ- فِي عِبَادِهِ، لِأَنَّ السَّرَّاءَ لَوِ اسْتَمَرَّتْ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، وَلَمْ يَحْصُلْ مَعَهَا مِحْنَةٌ، لَحَصَلَ الِاخْتِلَاطُ الَّذِي هُوَ فَسَادٌ، وَحِكْمَةُ اللهِ تَقْتَضِي تَمْيِيزَ أَهْلِ الْخَيْرِ مِنْ أَهْلِ الشَّرِّ.

هَذِهِ فَائِدَةُ الْمِحَنِ، لَا إِزَالَةُ مَا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَلَا رَدُّهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، فَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَخْبَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ سَيَبْتَلِي عِبَادَهُ ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾ مِنَ الْأَعْدَاءِ ﴿وَٱلْجُوعِ﴾ أَيْ: بِشَيْءٍ يَسِيرٍ مِنْهُمَا؛ لِأَنَّهُ لَوِ ابْتَلَاهُمْ بِالْخَوْفِ كُلِّهِ أَوِ الْجُوعِ لَهَلَكُوا، وَالْمِحَنُ تُمَحِّصُ لَا تُهْلِكُ.

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ﴾: وَهَذَا يَشْمَلُ جَمِيعَ النَّقْصِ الْمُعْتَرِي لِلْأَمْوَالِ مِنْ جَوَائِحَ سَمَاوِيَّةٍ، وَغَرَقٍ، وَضَيَاعٍ، وَأَخْذِ الظَّلَمَةِ لِلْأَمْوَالِ مِنَ الْمُلُوكِ الظَّلَمَةِ وَقَطَّاعِ الطَّرِيقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾ أَيْ: ذَهَابُ الْأَحْبَابِ مِنَ الْأَوْلَادِ وَالْأَقَارِبِ وَالْأَصْحَابِ، وَمِنْ أَنْوَاعِ الْأَمْرَاضِ فِي بَدَنِ الْعَبْدِ، أَوْ بَدَنِ مَنْ يُحِبُّهُ، ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أَيِ: الْحُبُوبِ وَثِمَارِ النَّخِيلِ وَالْأَشْجَارِ كُلِّهَا وَالْخُضَرِ، بِبَرْدٍ أَوْ بَرَدٍ أَوْ حَرْقٍ أَوْ آفَةٍ سَمَاوِيَّةٍ مِنْ جَرَادٍ وَنَحْوِهِ.

فَهَذِهِ الْأُمُورُ لَا بُدَّ أَنْ تَقَعَ، لِأَنَّ الْعَلِيمَ الْخَبِيرَ أَخْبَرَ بِهَا، فَوَقَعَتْ كَمَا أَخْبَرَ، فَإِذَا وَقَعَتِ انْقَسَمَ النَّاسُ قِسْمَيْنِ: جَازِعِينَ وَصَابِرِينَ، فَالْجَازِعُ حَصَلَتْ لَهُ الْمُصِيبَتَانِ؛ فَوَاتُ الْمَحْبُوبِ، وَهُوَ وُجُودُ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ، وَفَوَاتُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا، وَهُوَ الْأَجْرُ بِامْتِثَالِ أَمْرِ اللهِ بِالصَّبْرِ، فَفَازَ بِالْخَسَارَةِ وَالْحِرْمَانِ، وَنَقَصَ مَا مَعَهُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَفَاتَهُ الصَّبْرُ وَالرِّضَا وَالشُّكْرَانُ، وَحَصَلَ لَهُ السَّخَطُ الدَّالُّ عَلَىٰ شِدَّةِ النُّقْصَانِ.

وَأَمَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ لِلصَّبْرِ عِنْدَ وُجُودِ هَذِهِ الْمَصَائِبِ، فَحَبَسَ نَفْسَهُ عَنِ التَّسَخُّطِ قَوْلًا وَفِعْلًا، وَاحْتَسَبَ أَجْرَهَا عِنْدَ اللهِ، وَعَلِمَ أَنَّ مَا يُدْرِكُهُ مِنَ الْأَجْرِ بِصَبْرِهِ أَعْظَمُ مِنَ الْمُصِيبَةِ الَّتِي حَصَلَتْ لَهُ، بَلِ الْمُصِيبَةُ تَكُونُ نِعْمَةً فِي حَقِّهِ، لِأَنَّهَا صَارَتْ طَرِيقًا لِحُصُولِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْفَعُ مِنْهَا، فَقَدِ امْتَثَلَ أَمْرَ اللهِ، وَفَازَ بِالثَّوَابِ، فَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أَيْ: بَشِّرْهُمْ بِأَنَّهُمْ يُوَفَّوْنَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ، فَالصَّابِرُونَ هُمُ الَّذِينَ فَازُوا بِالْبِشَارَةِ الْعَظِيمَةِ، وَالْمِنْحَةِ الْجَسِيمَةِ.

ثُمَّ وَصَفَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾: وَهِيَ كُلُّ مَا يُؤْلِمُ الْقَلْبَ أَوِ الْبَدَنَ أَوْ كِلَيْهِمَا مِمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ﴾ أَيْ: مَمْلُوكُونَ لِلَّهِ، مُدَبَّرُونَ تَحْتَ أَمْرِهِ وَتَصْرِيفِهِ، فَلَيْسَ لَنَا مِنْ أَنْفُسِنَا وَأَمْوَالِنَا شَيْءٌ، فَإِذَا ابْتَلَانَا بِشَيْءٍ مِنْهَا، فَقَدْ تَصَرَّفَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ بِمَمَالِيكِهِ وَأَمْوَالِهِمْ، فَلَا اعْتِرَاضَ عَلَيْهِ، بَلْ مِنْ كَمَالِ عُبُودِيَّةِ الْعَبْدِ عِلْمُهُ بِأَنَّ وُقُوعَ الْبَلِيَّةِ مِنَ الْمَالِكِ الْحَكِيمِ الَّذِي هُوَ أَرْحَمُ بِعَبْدِهِ مِنْ نَفْسِهِ، فَيُوجِبُ لَهُ ذَلِكَ الرِّضَا عَنِ اللهِ، وَالشُّكْرَ لَهُ عَلَىٰ تَدْبِيرِهِ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لِعَبْدِهِ، وَإِنْ لَمْ يَشْعُرْ بِذَلِكَ، وَمَعَ أَنَّنَا مَمْلُوكُونَ لِلَّهِ فَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ يَوْمَ الْمَعَادِ، فَمَجَازٍ كُلُّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ، فَإِنْ صَبَرْنَا وَاحْتَسَبْنَا وَجَدْنَا أَجْرَنَا مَوْفُورًا عِنْدَهُ، وَإِنْ جَزِعْنَا وَسَخِطْنَا لَمْ يَكُنْ حَظُّنَا إِلَّا السَّخَطَ وَفَوَاتَ الْأَجْرِ، فَكَوْنُ الْعَبْدِ لِلَّهِ وَرَاجِعًا إِلَيْهِ مِنْ أَقْوَىٰ أَسْبَابِ الصَّبْرِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الْمَوْصُوفُونَ بِالصَّبْرِ الْمَذْكُورِ ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أَيْ: ثَنَاءٌ وَتَنْوِيهٌ بِحَالِهِمْ ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ عَظِيمَةٌ، وَمِنْ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ أَنْ وَفَّقَهُمْ لِلصَّبْرِ الَّذِي يَنَالُونَ بِهِ كَمَالَ الْأَجْرِ، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ، وَهُوَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عِلْمُهُمْ بِأَنَّهُمْ لِلَّهِ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَعَمِلُوا بِهِ وَهُوَ هُنَا صَبْرُهُمْ لِلَّهِ.

وَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ لَمْ يَصْبِرْ، فَلَهُ ضِدُّ مَا لَهُمْ، فَحَصَلَ لَهُ الذَّمُّ مِنَ اللهِ وَالْعُقُوبَةُ وَالضَّلَالُ وَالْخَسَارُ، فَمَا أَعْظَمَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ وَمَا أَقَلَّ تَعَبَ الصَّابِرِينَ، وَأَعْظَمَ عَنَاءَ الْجَازِعِينَ!

فَقَدِ اشْتَمَلَتْ هَاتَانِ الْآيَتَانِ عَلَىٰ تَوْطِينِ النُّفُوسِ عَلَىٰ الْمَصَائِبِ قَبْلَ وُقُوعِهَا لِتَخِفَّ وَتَسْهُلَ إِذَا وَقَعَتْ، وَبَيَانِ مَا تُقَابَلُ بِهِ إِذَا وَقَعَتْ وَهُوَ الصَّبْرُ، وَبَيَانِ مَا يُعِينُ عَلَىٰ الصَّبْرِ، وَمَا لِلصَّابِرِ مِنَ الْأَجْرِ، وَيَعْلَمُ حَالَ غَيْرِ الصَّابِرِ بِضِدِّ حَالِ الصَّابِرِ، وَأَنَّ هَذَا الِابْتِلَاءَ وَالِامْتِحَانَ سُنَّةُ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا، وَبَيَانِ أَنْوَاعِ الْمَصَائِبِ»[١].

۞۞۞

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٧٥).

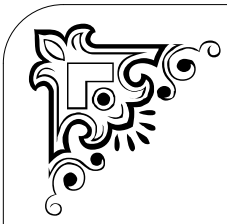

مِنْ سُبُلِ نَيْلِ رَحَمَاتِ الرَّحْمَنِ: الْقِيَامُ بِحُقُوقِ الْمُؤْمِنِينَ

مِنْ سُبُلِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللهِ ﷻ: الْقِيَامُ بِحُقُوقِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمِينَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

«وَلَقَدْ أَمَرَ اللهُ وَرَسُولُهُ بِالْقِيَامِ بِحُقُوقِ الْمُؤْمِنِينَ، بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، وَبِمَا بِهِ يَحْصُلُ التَّآلُفُ وَالتَّوَادُدُ، وَالتَّوَاصُلُ بَيْنَهُمْ، كُلُّ هَذَا تَأْيِيدٌ لِحُقُوقِ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، فَمِنْ ذَلِكَ: إِذَا وَقَعَ الِاقْتِتَالُ بَيْنَهُمُ الْمُوجِبُ لِتَفَرُّقِ الْقُلُوبِ وَتَبَاغُضِهَا وَتَدَابُرِهَا، فَلْيُصْلِحِ الْمُؤْمِنُونَ بَيْنَ إِخْوَانِهِمْ، وَلِيَسْعَوْا فِيمَا بِهِ يَزُولُ شَنَآنُهُمْ.

ثُمَّ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ عُمُومًا، وَرَتَّبَ عَلَىٰ الْقِيَامِ بِحُقُوقِ الْمُؤْمِنِينَ وَبِتَقْوَىٰ اللهِ الرَّحْمَةَ فَقَالَ: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ وَإِذَا حَصَلَتِ الرَّحْمَةُ، حَصَلَ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَدَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ عَدَمَ الْقِيَامِ بِحُقُوقِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَعْظَمِ حَوَاجِبِ الرَّحْمَةِ»(١).

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٨٠٠).

مِنْ سُبُلِ اسْتِمْطَارِ رَحَمَاتِ اللهِ:
رَحْمَةُ الْمَخْلُوقَاتِ

إِنَّ مِنَ الْأَسْبَابِ الْعَظِيمَةِ وَالسُّبُلِ الْيَسِيرَةِ لِاسْتِمْطَارِ رَحَمَاتِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ: رَحْمَةَ الْمُسْلِمِ غَيْرَهُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، فَاعْمُرُوا قُلُوبَكُمْ بِالرَّحْمَةِ لِلْخَلْقِ، فَإِذَا أَرَدْتَ رَحْمَةَ الْخَالِقِ فَارْحَمِ الْخَلْقَ، وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ سَبَبَ رَحْمَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَرْحَمَ الْإِنْسَانُ خَلْقَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا؛ فَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمْهُ اللهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١). (*).

قَوْلُهُ: «**مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ**»: بِالرَّأْفَةِ بِهِمْ وَالْعَطْفِ عَلَيْهِمْ فَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُغِيثُ الْمَلْهُوفَ، وَيُطْعِمُ الْجَائِعَ، وَيَكْسُو الْعُرْيَانَ.

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللهُ(٣): «فِيهِ الْحَضُّ عَلَىٰ اسْتِعْمَالِ الرَّحْمَةِ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ؛ فَيَدْخُلُ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ وَالْبَهَائِمُ وَالْمَمْلُوكُ مَنْها وَغَيْرُ الْمَمْلُوكِ، وَيَدْخُلُ فِي

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ فِي «صَحِيحِهِ» (رَقْم ٦٠١٣، و٧٣٧٦)، ومُسْلِم فِي «صَحِيحِهِ» (رَقْم ٢٣١٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ وَاخْتِصَارٍ مِنْ خُطْبَة: «أَهْلُ الْقِبْلَةِ» - الْجُمُعَةُ ١٣ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٧ هـ| ٢٠-٥-٢٠١٦م.

(٣) «شرح صَحِيح الْبُخَارِيّ» (٩/ ٢١٩)، وانظر: «فَتْحُ الْبَارِي» (١٠/ ٤٤٠).

الرَّحْمَةِ التَّعَاهُدُ بِالْإِطْعَامِ وَالسَّقْيِ، وَفِيهَا التَّخْفِيفُ فِي الْحِمْلِ وَتَرْكُ التَّعَدِّي بِالضَّرْبِ».

بَيَانُ أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ عِنْدَ اللهِ ﷻ، فَأُمِرَ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا ذُكُورًا وَإِنَاثًا أَنْ تَكُونَ فِي قُلُوبِهِمْ رَحْمَةٌ لِإِخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، لِذَا وَصَفَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

﴿أَذِلَّةٍ﴾: يَعْنِي مُتَوَاضِعِينَ وَرَاحِمِينَ لَهُمْ، وَعَاطِفِينَ عَلَيْهِمْ وَمُحِبِّينَ إِلَيْهِمْ، فَالْوَاجِبُ عَلَىٰ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ أَنْ يَكُونَ لَدَيْهِمْ رَحْمَةٌ بِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، فَإِنَّ هَذَا حَقٌّ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُتَبَادَلًا وَمُتَّفَقًا عَلَيْهِ بَيْنَ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، مَنْ تَعَارَفُوا وَمَنْ لَمْ يَتَعَارَفُوا، أَنْ يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَرْحَمُ بَعْضًا، وَيُوَقِّرُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ، وَيَرْحَمُ كَبِيرُهُمْ صَغِيرَهُمْ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْمُؤْمِنِينَ مَثَلًا بِقَوْلِهِ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ**»(١).

فَهَكَذَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ شَأْنُ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ، أَنْ يَكُونَ مِنْ أَخْلَاقِهِمُ الرَّحْمَةُ وَالتَّقْدِيرُ وَالتَّوْقِيرُ، وَالتَّعَاطُفُ، وَالْمَحَبَّةُ الشَّرْعِيَّةُ، وَهَذِهِ صِفَاتُ أَهْلِ الْإِيمَانِ.(*).

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ (رَقْم ٥٢، و٦٠١١)، وَمُسْلِم (رَقْم ٢٥٨٦)، مِنْ حديث: النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَابِ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ -بَابٌ: قَوْلُ الرَّجُلِ لِلصَّغِيرِ: يَا بُنَيَّ» [ص١٦٦٩-١٦٧١].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»(١). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُمْ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَبْصَرَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُقَبِّلُ الْحَسَنَ.

فَقَالَ: إِنَّ لِي مِنَ الْوَلَدِ عَشَرَةً مَا قَبَّلْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إنه مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ**، وَأَشَارَ بِإِصْبَعَيْهِ؛ يَعْنِي السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَىٰ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ(٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ**

---

(١) أَخْرَجَهُ أبو داود في «سننه» (رَقْم ٤٩٤١)، والتِّرْمِذِيّ في «جَامِعِهِ» (رَقْم ١٩٢٤)، وزاد: «...، **الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللهُ**»، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، والحديث حسنه لغيره الْأَلْبَانِيّ في «الصَحِيحة» (٢/ رَقْم ٩٢٥)، وفي «صَحِيح الترغيب والترهيب» (٢/ رَقْم ٢٢٥٦).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ (رَقْم ٥٩٩٧)، ومُسْلِم (رَقْم ٢٣١٨).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ (رَقْم ٥٣٠٤، و ٦٠٠٥)، بلفظ: «**أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا**»، وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ -وفي رواية: [وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ]- وَالوُسْطَىٰ، وزاد في رواية: وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا.

إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ»(١). (*).

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَغْفِرُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَرْحَمُ حَتَّى الْحَيَوَانَاتِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ**(٣) **بِرَكِيَّةٍ**(٤) **كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا** -أَيْ: خُفَّهَا- **فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ** -أَيْ: بِالْخُفِّ-، **فَسَقَتْهُ** -أَيْ: فسَقَتِ الْكَلْبَ- **فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ»**(٥). (*/٢).

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: «يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي لَأَذْبَحُ الشَّاةَ فَأَرْحَمُهَا، أَوْ قَالَ: إِنِّي لَأَرْحَمُ الشَّاةَ أَنْ أَذْبَحَهَا».

---

(١) أَخْرَجَهُ أبو داود (رَقْم ٤٩٤٢)، والتِّرْمِذِيّ (رَقْم ١٩٢٣)، وحسنه الْأَلْبَانِيّ في «صَحِيحٌ الترغيب والترهيب» (٢/ رَقْم ٢٢٦١)، وفي «صَحِيحٌ الأدب المفرد» (رَقْم ٢٨٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ وَاخْتِصَارٍ مِنْ خُطْبَة: «أَهْلُ الْقِبْلَةِ» - الْجُمُعَةُ ١٣ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٧ هـ| ٢٠-٥-٢٠١٦م.

(٣) (**يُطِيفُ**)، أي: يدور حولها، يقال: طاف به وأطاف إذا دار حوله، انظر: «شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِم» للنووي (١٤/ ٢٤٢).

(٤) (**الرَّكِيَّة**): الْبِئْرُ، وَجَمْعُهَا رَكِيٌّ ورَكايا، انظر: «الصحاح» مادة: ركا (٦/ ٢٣٦١)، و«لسان العرب» (١٤/ ٣٣٣ - ٣٣٤)، و«فتح الباري» (٦/ ٥١٦).

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ (رَقْم ٣٤٦٧)، ومُسْلِم (رَقْم ٢٢٤٥)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وفي رواية للبخاري (رَقْم ٣٣٢١)، بلفظ: «**غُفِرَ لِامْرَأَةٍ مُومِسَةٍ؛ مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَىٰ رَأْسِ رَكِيٍّ يَلْهَثُ كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، فَنَزَعَتْ خُفَّهَا فَأَوْثَقَتْهُ بِخِمَارِهَا فَنَزَعَتْ لَهُ مِنَ المَاءِ، فَغُفِرَ لَهَا بِذَلِكَ**».

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «دَاعِشُ وَذَبْحُ الْأَقْبَاطِ الْمِصْرِيِّينَ» - الْجُمُعَةُ ١ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٦هـ| ٢٠-٢-٢٠١٥م.

قَالَ: «**وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا، رَحِمَكَ اللهُ**» مَرَّتَيْنِ(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» وَفِي غَيْرِهَا.

قَوْلُهُ: «**وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا، رَحِمَكَ اللهُ**»: كَمَا قَالَ ﷺ «**مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ**»(٢).

فَمَنْ رَحِمَ رُحِمَ، سَوَاءٌ كَانَتْ هَذِهِ الرَّحْمَةُ لِإِنْسَانٍ أَوْ حَيَوانٍ أَوْ طَائِرٍ أَوْ نَحْوِهِ.

وَالرَّحْمَةُ تَقْتَضِي عَدَمَ ذَبْحِ الشَّاةِ بِحَضْرَةِ أُخْرَىٰ، وَأَلَّا يُحِدَّ الشَّفْرَةَ أَمَامَهَا فَهَذَا مِنَ الرَّحْمَةِ بِهَا.

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**مَنْ رَحِمَ وَلَوْ ذَبِيحَةَ عُصْفُورٍ رَحِمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٣).

---

(١) «الأدب المفرد» (رَقْم ٣٧٣)، وأَخْرَجَهُ أيضا أَحْمَدُ في «المسند» (٣/ ٣٤٦، رَقْم ١٥٥٩٢) و(٥/ ٣٤، رَقْم ٢٠٣٦٣)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيّ «صحيح الأدب المفرد» (رَقْم ٢٨٧)، وفِي «السِّلْسِلَةِ الصَحِيحةِ» (١/ رَقْم ٢٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «الأدب المفرد» (رَقْم ٣٨١)، وأَخْرَجَهُ أيضا الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٨/ رَقْم ٧٩١٣ و٧٩١٥)، وَابْنُ عَدِيٍّ فِي «الْكَامِلِ» (٨/ ٣٦٢ - ٣٦٣، ترجمة ٢٠٠٤)، وَتَمَّامٌ فِي «الْفَوَائِدِ» (٢/ رَقْم ١٢٤٥)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» (١٣/ رَقْم ١٠٥٥٩)، وَابْنُ عَسَاكِرَ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٦٣/ ١١٧)، مِنْ حديث: أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيّ فِي «صَحِيح الأدب المفرد» (رَقْم ٢٩٤)، وفِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحةِ» (١/ رَقْم ٢٧).

هَذَا الْخُلُقُ لَا يَتَجَزَّأُ -خُلُقُ الرَّحْمَةِ لَا يتَجَزَّأُ- كَمَا هُوَ وَاضِحٌ فِي خُلُقِ الرَّحْمَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَتْ رَحْمَتُهُ عَامَّةً وَغَامِرَةً وَشَامِلَةً، وَقَدْ شَمِلَتِ الطُّيُورَ وَالْحَيَوَانَاتِ، بَلْ شَمِلَتِ الْحَشَرَاتِ لَمَّا نَهَىٰ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَتْلِ الْحَشَرَاتِ حَرْقًا، وَدُونَ ذَلِكَ فِي الْإِثْمِ أَنْ تُقْتَلَ بِالْمَاءِ إِغْرَاقًا، فَهَذَا إِثْمٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهَا[1]، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ تَبْدُو مَظَاهِرُ رَحْمَتِهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَأَقْوَالِهِ ﷺ.(*).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَزَلَ مَنْزِلًا فَأَخَذَ رَجُلٌ بَيْضَ حُمَّرَةٍ، فَجَاءَتْ تَرِفُّ عَلَىٰ رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَيُّكُمْ فَجَعَ هَذِهِ بِبَيْضَتِهَا؟**».

فَقَالَ رَجُلٌ: «يَا رَسُولَ اللهِ! أَنَا أَخَذْتُ بَيْضَتَهَا».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ارْدُدْ؛ رَحْمَةً لَهَا**»[3]. وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ»، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

«**حُمَّرَةٌ**»: طَائِرٌ صَغِيرٌ كَالْعُصْفُورِ.

---

(١) تقدم تخريجه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ - بَابٌ: ارْحَمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ» [ص١٦٨٠-١٦٨٤].

(٣) «الأدب المفرد» (رَقْم ٣٨٢)، وأَخْرَجَهُ أيضا أَبُو دَاوُدَ (رَقْم ٢٦٧٥، و٥٢٧٨)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيّ في «صَحِيح الأدب المفرد» (رَقْم ٢٩٥)، وفِي «الصَحِيحةِ» (١/ رَقْم ٢٥ و٤٨٧).

«**تَرِفُّ**»؛ أَيْ: تَضْرِبُ بِجَنَاحَيْهَا؛ تَعَطُّفًا وَإِظْهَارًا لِتَعَلُّقِهَا بِذَلِكَ.

قَوْلُهُ: «**ارْدُدْ، رَحْمَةً لَهَا**»: تَأَمَّلْ فِي تَكَامُلِ هَذَا الدِّينِ، إِذْ هُوَ الدِّينُ الْخَاتَمُ دِينُ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لَقَدِ اتَّسَعَ وَقْتُ وَاهْتِمَامُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْإِرْشَادِ فِي هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِتِلْكَ الْحُمَّرَةِ بِذَلِكَ الطَّائِرِ، وَيَأْمُرُ بِرَدِّ بَيْضَةِ الْحُمَّرَةِ إِلَيْهَا رَحْمَةً لَهَا.

وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَ ذَلِكَ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ وَفِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ، وَفِي إِقَامَةِ دِينِ اللهِ وَفِي مُجَالَدَةِ الْكَافِرِينَ الْمُشْرِكِينَ؛ إِقَامَةً لِلدِّينِ، وَتَأْسِيسًا لِدَعَائِمِ الْمِلَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَصْرِفُ هَذَا الْوَقْتَ لِذَلِكَ الْأَمْرِ الْمُتَعَلِّقِ بِالْحُمَّرَةِ.

«**فَجَاءَتْ تَرِفُّ**»: جَعَلَتْ تَفْرُشُ، كَمَا فِي رِوَايَةٍ، وَفِي أُخْرَىٰ «**تَعْرُشُ**»؛ أَيْ: بِجَنَاحَيْهَا بِفَرْشِ الْجَنَاحِ وَبَسْطِهِ، وَ«التَّعْرِيشُ»: أَنْ يَرْتَفِعَ الطَّائِرُ، وَيُظَلِّلَ بِجَنَاحَيْهِ.

«**فَجَعَ هَذِهِ بِبَيْضَتِهَا**»؛ أَيْ: وَجَعَ قَلْبَهَا وَأَقْلَقَهَا وَأَوْحَشَهَا.

وَقَدْ وَقَعَ مِثْلُ هَذَا مَعَ الْجَمَلِ الَّذِي حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ حِينَ رَأَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «**مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟**»؛ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟

فَجَاءَ فَتًىٰ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: «لِي يَا رَسُولَ اللهِ».

فَقَالَ ﷺ: «**أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ كَدَّهُ وَتُتْعِبُهُ**»(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (رَقْم ٢٥٤٩)، مِنْ حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنه، وَصَحَّحَ إسناد الْأَلْبَانِيّ فِي «صَحِيح أبي داود» (٧/ رَقْم ٢٢٩٧)، وفِي «صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ» (٢/ رَقْم ٢٢٦٩).

=

لِأَنَّ هَذَا الْجَمَلَ كَانَ نَافِرًا، وَكَانَ فِي حَائِطٍ، فَتَحَاشَاهُ النَّاسُ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا نَخْشَىٰ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَدَخَلَ فَلَمَّا رَأَىٰ الْجَمَلُ النَّبِيَّ ﷺ، جَاءَ حَتَّىٰ جَعَلَ رَأْسَهُ عَلَىٰ كَتِفِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَخَذَ يَبْكِي، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَمْسَحُ عَلَىٰ رَأسِهِ وَدِفْرَاهُ قَدْ وَضَعَ ﷺ عَلَيْهِمَا يَدَهُ، وَقَالَ: «**لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟**».

فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: «لِي يَا رَسُولَ اللهِ».

فَقَالَ ﷺ: «**أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ**».

فِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ أَنَّ الرَّحْمَةَ بِالْبَهَائِمِ وَبِالطُّيُورِ وَبِالْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الْمَطْلُوبَاتِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، بَيَانُ كَمَالِ رَحْمَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِكُلِّ مَنْ يَسْتَحِقُّ الرَّحْمَةَ مِنْ آدَمِيٍّ وَغَيْرِهِ، تَحْرِيمُ الِاعْتِدَاءِ عَلَىٰ الْغَيْرِ بِدُونِ دَلِيلٍ مِنَ الشَّرْعِ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكُمُ الْغَيْرُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ أَوْ عَالَمِ الطَّيْرِ.(*).

وَالْمَرْأَةُ الَّتِي رَحِمَتْ طِفْلَتَيْهَا وَشَقَّتْ بَيْنَهُمَا التَّمْرَةَ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «دَخَلَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا، فَسَأَلَتْنِي، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ وَخَرَجَتْ،

=

والحديث أصله في «صَحِيح مُسْلِم» (رَقْم ٣٤٢ و٢٤٢٩) بدون هذه القصة.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ - بَابٌ: أَخْذُ الْبَيْضِ مِنَ الْحُمَّرَةِ» [ص١٧١٦-١٧١٩].

فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنِ ابْتُلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ؛ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ**»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(*).

إِنَّ الرَّحْمَةَ وَالْمَغْفِرَةَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ أَسْبَابِ رَحْمَةِ اللهِ وَمَغْفِرَتِهِ بَيْنَهُمْ، وَالْإِسْلَامُ يَحُثُّ عَلَىٰ غَرْزِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَصِفَةِ الرَّحْمَةِ فِي النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ.

فَعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه، **قَالَ**: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ، وَلا يُغْفَرُ مَنْ لَا يَغْفِرُ، وَلَا يُعْفَىٰ عَمَّنْ لَمْ يَعْفُ، وَلَا يُوَقَّىٰ مَنْ لَا يَتَوَقَّىٰ»(٣). وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

«**مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ**»، «**وَلَا يُغْفَرُ لِمَنْ لَا يَغْفِرُ**»: يُغْفَرُ؛ أَيْ: يُتَجَاوَزُ لَهُ عَنْ خَطَايَاهُ وَذُنُوبِهِ.

وَالْمَعْنَىٰ: مَنْ لَا يَتَجَاوَزُ عَنْ خَطَايَا النَّاسِ وَإِسَاءَتِهِمْ لَا يَغْفِرُ اللهُ -تَعَالَىٰ- لَهُ؛ إِذِ الْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «**اسْمَحْ يُسْمَحْ لَكَ**». صَحَّحَهُ فِي «الصَّحِيحَةِ»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٥)، ومسلم (٢٦٢٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «صَدَقَةُ التَّطَوُّعِ.. فَضْلُهَا وَأَحْكَامُهَا» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّالِثَةُ: مَا لَا تَعْرِفُهُ عَنْ فَضْلِ الصَّدَقَةِ)، الْأَحَدُ ١٥ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٤١هـ| ٧-٦-٢٠٢٠م.

(٣) «الأدب المفرد» (رَقْم ٣٧١ و٣٧٢)، وأَخْرَجَهُ أيضا أَبُو دَاوُدَ فِي «الزُّهْدِ» (رَقْم ٨٢)، وَمُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ الضَّبِّيُّ فِي «الدُّعَاءِ» (رَقْم ١٤٧) (ص٤٤٧)، من طرق: عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه،... بِهِ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيّ فِي «صَحِيح الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (رَقْم ٢٨٦).

(٤) أَخْرَجَهُ عبد الله بن أَحْمَدُ في زوائده علىٰ «المسند» (١/ ٢٤٨، رَقْم ٢٢٣٣)، وَالْحَارِثُ ابن أبي أسامة في «مسنده» (٢/ رَقْم ١٠٨١)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٥/ رَقْم

يَعْنِي: كُنْ سَمْحًا حَتَّىٰ تُعَامَلَ بِالسَّمَاحَةِ.

«**وَلَا يُعْفَىٰ عَمَّنْ لَمْ يَعْفُ**»: الْعَفْوُ: التَّجَاوُزُ عَنِ الذَّنْبِ وَتَرْكُ الْعِقَابِ.

صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَحْسِنْ إِلَىٰ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، وَقُلِ الْحَقَّ وَلَوْ عَلَىٰ نَفْسِكَ.

فِي رِوَايَةٍ(١): «**وَلَا يُتَابُ عَلَىٰ مَنْ لَا يَتُوبُ**»: مَنْ لَا يَتُبْ لَا يُتَبْ عَلَيْهِ فَلَا بُدَّ مِنْ مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ لِلتَّوْبَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، لِتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ، حَتَّىٰ يُوَفَّقَ لِذَلِكَ «**وَيَتُوبُ اللهُ عَلَىٰ مَنْ تَابَ**» كَمَا قَالَ ﷺ(٢).

«وَلَا يُوَقَّىٰ مَنْ لَا يَتَوَقَّىٰ»: وُقِيْتُ الشَّيْءَ، وَوَقَيْتُهُ أَقِيهِ إِذَا صُنْتُهُ، وَسَتَرْتُهُ عَنِ الْأَذَىٰ.

=

٥١١٢)، وَفِي «الصَّغِيرِ» (٢/ رَقْم ١١٦٩)، وَالْقُضَاعِيُّ فِي «مُسْنَدِ الشِّهَابِ» (رَقْم ٦٤٨)، وَابْنُ عَسَاكِرَ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٦٣/ ٢٧٨ - ٢٧٩، ترجمة ٨٠٤٦)، مِنْ حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيّ فِي «السِّلْسِلَةِ الصَحِيحةِ» (٣/ رَقْم ١٤٥٦).

(١) «الأدب المفرد» (رَقْم ٣٧٢)، وقد تقدم.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ (رَقْم ٦٤٣٩)، ومُسْلِم (رَقْم ١٠٤٨)، من حديث: أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَىٰ وَادِيًا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَىٰ مَنْ تَابَ**».

والحديث أيضا في «الصَحِيحين» من حديث: ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وفي «صَحِيح الْبُخَارِيّ» من حديث: ابن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وَالْمَعْنَىٰ: لَا يُحْفَظُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي وَالْآثَامِ مَنْ لَا يَجْتَنِبُهَا، وَهَذا كَقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «**وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ**»(١)، وَأَمَّا مَنْ لَا يُوَقَّهُ فَإِنَّهُ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ، فَهَذَا الَّذِي لَا يَتَوَقَّىٰ لَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ فِي الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ.

فَالَّذِي يَطْمَعُ فِي رَحْمَةِ رَبِّهِ وَمَغْفِرَتِهِ عَلَيْهِ أَنْ يَرْحَمَ النَّاسَ، وَأَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ، وَأَنْ يُسَامِحَهُمْ، وَأَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَدَبَّرَ قَوْلَ اللهِ: ﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ**﴾ [النور: ٢٢].(*).

«إِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا يُحِبُّ الرُّحَمَاءَ، وَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وَإِنَّما يَرْحَمُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ(٣)، .....

---

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْحِلْمِ» (رَقْم ٢)، وَالدَّارَقُطْنِيُّ فِي «الْعِلَلِ» (١٠/ ٣٢٦، مسألة ٢٠٣٧)، وَالْخَطِيبُ فِي «تَارِيخِ بَغْدَادَ» (١٠/ ترجمة ٤٦٩٧)، وَابْنُ عَسَاكِرَ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (١٨/ ٩٩، ترجمة ٢١٦٢)، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «الْعِلَلِ الْمُتَنَاهِيَةِ» (١/ ٧٦، رَقْم ٩٣)، مِنْ حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوَقَّهُ**».
وحسن إسناده الْأَلْبَانِيّ في «الصَحِيحة» (١/ رَقْم ٣٤٢)، وانظر: «العلل» للدارقطني (٦/ ٢١٨، مسألة ١٠٨٥)، وَ«جامع التحصيل في أحكام المراسيل» للعلائي (ص١٧٥، ترجمة ١٨٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ -بَابٌ: قَوْلُ الرَّجُلِ لِلصَّغِيرِ: يَا بُنَيَّ» [ص١٦٧٢-١٦٧٧].

(٣) أَخْرَجَ الْبُخَارِيّ فِي «صَحِيحِهِ» (رَقْم ١٢٨٤) و**مَوَاضِع**، وَمُسْلِم فِي «صَحِيحِهِ» (رَقْم ٩٢٣)، مِنْ حَدِيث: أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «...، **إِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**».

وَهُوَ سِتِّيرٌ يُحِبُّ مَنْ يَسْتُرُ عَلَىٰ عِبَادِهِ(١)، وَعَفُوٌّ يُحِبُّ مَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ(٢)، وَغَفُورٌ يُحِبُّ مِنْ يَغْفِرُ لَهُمْ، وَلَطِيفٌ يُحِبُّ اللُّطْفَ مِنْ عِبَادِهِ، وَيُبْغِضُ الْفَظَّ الْغَلِيظَ الْقَاسِيَ، الْجَعْظَرِيَّ الْجَوَّاظَ(٣).

---

(١) فقد أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ فِي «السُّنَنِ» (رَقْم ٤٠١٢)، وَالنَّسَائيُّ فِي «المُجْتَبَىٰ» (١/ ٢٠٠، رَقْم ٤٠٦)، من حَدِيث: يَعْلَىٰ بْنِ أُمَيَّةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ**،...» الحَدِيث، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الإِرْوَاءِ» (٧/ رَقْم ٢٣٣٥).

(٢) فقد أَخْرَجَ التِّرْمِذِيّ فِي «الجَامِعِ» (رَقْم ٣٥١٣)، وَابْن مَاجَهْ فِي «السنن» (رَقْم ٣٨٥٠)، من حَدِيث: عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: "يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: «**قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»، وصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٧/ رَقْم ٣٣٣٧).

(٣) فقد أَخْرَجَ الْبُخَارِيّ (رَقْم ٤٩١٨ و٦٠٧١ و٦٦٥٧)، ومُسْلِم (رَقْم ٢٨٥٣)، من حَدِيث: حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ الخُزَاعِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «...، **أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**»، وفي رِوَايَةٍ لأبي دَاوُدَ (رَقْم ٤٨٠١)، «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ الْجَوَّاظُ وَلَا الْجَعْظَرِيُّ**».

أَمَّا (**الجَعْظَرِيُّ**): فَهُوَ الفَظُّ الْغَلِيظُ المُتَكَبِّرُ، الَّذِي يَنْتَفِخ بِمَا لَيْس عِنْدَهُ وَفِيهِ قِصَرٌ، «النهاية» لابن الأثير -مادة: جَعْظَرَ- (١/ ٢٧٦).

وأَمَّا (**الجَوَّاظ**): فهو: كَثِيرُ اللَّحْمِ الْجَافِي الْغَلِيظُ المُخْتالُ فِي مِشْيَتِه، وَقِيلَ: هُوَ الْفَاجِرُ، وَقِيلَ: هُوَ الجَمُوعُ المَنُوعُ، قال ابنُ فارِسٍ في «مَقَايِيسِ اللُّغَةِ» (١/ ٤٩٥): «الْجِيمُ وَالْوَاوُ وَالظَّاءُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ لِنَعْتٍ قَبِيحٍ لَا يُمْدَحُ بِهِ»، انظُرْ: «الصِّحَاحَ» -مادة: جَوْظٌ- (٣/ ١١٧١)، و«لسان العرب» (٧/ ٤٣٩).

وَرَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ[١]، وَحَلِيمٌ يُحِبُّ الْحِلْمَ، وَبَرٌّ يُحِبُّ الْبِرَّ وَأَهْلَهُ، وَعَدْلٌ يُحِبُّ الْعَدْلَ، وَقَابِلٌ لِلْمَعَاذِيرِ يُحِبُّ مَنْ يَقْبَلُ مَعَاذِيرَ عِبَادِهِ، وَيُجَازِي عَبْدَهُ بِحَسَبِ هَذِهِ الصِّفَاتِ فِيهِ وُجُودًا وَعَدَمًا.

فَمَنْ عَفَا عَفَا عَنْهُ، وَمَنْ غَفَرَ غَفَرَ لَهُ، وَمَنْ سَامَحَ سَامَحَهُ، وَمَنْ حَاقَقَ حَاقَقَهُ، وَمَنْ رَفَقَ بِعِبَادِهِ رَفَقَ بِهِ، وَمَنْ رَحِمَ خَلْقَهُ رَحِمَهُ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَمَنْ جَادَ عَلَيْهِمْ جَادَ عَلَيْهِ، وَمَنْ نَفَعَهُمْ نَفَعَهُ، وَمَنْ سَتَرَهُمْ سَتَرَهُ[٢]، وَمَنْ صَفَحَ عَنْهُمْ صَفَحَ عَنْهُ.

وَمَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَتَهُمْ تَتَبَّعَ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ هَتَكَهُمْ هَتَكَهُ وَفَضَحَهُ، وَمَنْ مَنَعَهُمْ خَيْرَهُ مَنَعَهُ خَيْرَهُ، وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللهُ بِهِ، وَمَنْ مَكَرَ مَكَرَ بِهِ، وَمَنْ خَادَعَ خَادَعَهُ، وَمَنْ عَامَلَ خَلْقَهُ بِصِفَةٍ عَامَلَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِتِلْكَ الصِّفَةِ عَيْنِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَاللهُ -تَعَالَىٰ- لِعَبْدِهِ عَلَىٰ حَسَبِ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ لِخَلْقِهِ، وَلِذَلِكَ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «**مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ**

---

(١) أَخْرَجَ الْبُخَارِيّ (رَقْم ٦٠٢٤) ومَوَاضِع، ومُسْلِم (رَقْم ٢١٦٥ و٢٥٩٣)، من حَدِيث: عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ**،...» الحَدِيث.

(٢) أَخْرَجَ الْبُخَارِيّ (رَقْم ٢٤٤٢)، ومُسْلِم (رَقْم ٢٥٨٠)، من حَدِيث: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «...، **مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِما سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، والحَدِيث أيضا في «صحيح مُسْلِم» (رَقْم ٢٥٩٠)، من حَدِيث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ تَعَالَىٰ حِسَابَهُ»(١)، «**وَمَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ»**(٢).

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ إِلَىٰ قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَبَّعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ فَضَحَهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ**»(٣).

كَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- لَكَ كَمَا تَكُونُ أَنْتَ لَهُ وَلِعِبَادِهِ»(٤).(*).

رَحْمَةُ الْعَبْدِ لِلْخَلْقِ مِنْ أَكْبَرِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُنَالُ بِهَا رَحْمَةُ اللهِ، الَّتِي مِنْ آثَارِهَا خَيْرَاتُ الدُّنْيَا وَخَيْرَاتُ الْآخِرَةِ، وَفَقْدُهَا مِنْ أَكْبَرِ الْقَوَاطِعِ وَالْمَوَانِعِ

---

(١) أَخْرَجَه مُسْلِم (رَقْم ٢٦٩٩)، من حَدِيث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، بلفظ: «...، **وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**،...»، وأما قوله: «يَسَّرَ اللهُ تعالىٰ حسابه»، فلم أقف علىٰ من أَخْرَجَه بهذا اللفظ، والله أعلم.

(٢) أَخْرَجَه مُسْلِم (رَقْم ٣٠٠٦)، من حَدِيث: أَبِي الْيَسَرِ كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، بلفظ: «...، **أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ**».

(٣) أَخْرَجَه أبو دَاوُدَ (رَقْم ٤٨٨٠)، من حَدِيث: أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه، وَابْن مَاجَهْ (رَقْم ٢٠٣٢)، من حَدِيث: ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، وصَحَّحَهُما الْأَلْبَانِيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ رَقْم ٢٣٣٩ و٢٣٤٠).

(٤) «الوَابِلُ الصَّيِّبُ» لابنِ الْقَيِّم -تحقيق: عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنِ بنِ قائدٍ. وإشراف: بَكْرُ أبو زَيْدٍ، الطَّبْعَة الأولَىٰ (١٤٢٥هـ)، دار عالم الفوائد: مكة- (ص ٨٠ - ٨٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «لَا تَحْزَنْ» - الْجُمُعَةُ ٢١ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٣هـ| ١٦-١٢-٢٠١١م.

لِرَحْمَةِ اللهِ، وَالْعَبْدُ فِي غَايَةِ الضَّرُورَةِ وَالِافْتِقَارِ إِلَىٰ رَحْمَةِ اللهِ، لَا يَسْتَغْنِي عَنْهَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَكُلُّ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ وَانْدِفَاعِ النِّقَمِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ.

فَمَتَىٰ أَرَادَ أَنْ يَسْتَبْقِيَهَا وَيَسْتَزِيدَ مِنْهَا فَلْيَعْمَلْ جَمِيعَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُنَالُ بِهَا رَحْمَتُهُ، وَتَجْتَمِعُ كُلُّهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وَهُمُ الْمُحْسِنُونَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، الْمُحْسِنُونَ إِلَىٰ عِبَادِ اللهِ، وَالْإِحْسَانُ إِلَىٰ الْخَلْقِ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ رَحْمَةِ الْعَبْدِ بِهِمْ.

فَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَعَرَّفُ الْأَسْبَابَ الَّتِي يُدْرِكُ بِهَا هَذَا الْوَصْفَ الْجَلِيلَ، وَيَجْتَهِدُ فِي التَّحَقُّقِ بِهِ، حَتَّىٰ يَمْتَلِئَ قَلْبُهُ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْحَنَانِ عَلَىٰ الْخَلْقِ.

وَيَا حَبَّذَا هَذَا الْخُلُقُ الْفَاضِلُ، وَالْوَصْفُ الْجَلِيلُ الْكَامِلُ، وَهَذِهِ الرَّحْمَةُ الَّتِي فِي الْقُلُوبِ تَظْهَرُ آثَارُهَا عَلَىٰ الْجَوَارِحِ وَاللِّسَانِ فِي السَّعْيِ فِي إِيصَالِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ وَالْمَنَافِعِ إِلَىٰ النَّاسِ، وَإِزَالَةِ الْأَضْرَارِ وَالْمَكَارِهِ عَنْهُمْ.

وَعَلَامَةُ الرَّحْمَةِ الْمَوْجُودَةِ بِقَلْبِ الْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِوُصُولِ الْخَيْرِ لِكَافَّةِ الْخَلْقِ عُمُومًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ خُصُوصًا، كَارِهًا حُصُولَ الشَّرِّ وَالضَّرَرِ عَلَيْهِمْ، فَبِقَدْرِ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ وَالْكَرَاهَةِ تَكُونُ رَحْمَتُهُ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ بَهْجَةِ قُلُوبِ الْأَبْرَارِ وَقُرَّةِ عُيُونِ الْأَخْيَارِ فِي شَرْحِ جَوَامِعِ الْأَخْبَارِ» (الْمُحَاضَرَة: ١٥)، الْخَمِيسُ ١٣ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٤هـ| ١٩-٩-٢٠١٣م.

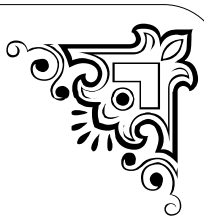

مِنْ أَسْبَابِ رَحْمَةِ اللهِ:
الْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللهِ

مِنْ أَسْبَابِ رَحْمَةِ اللهِ ﷻ: **الْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٩].

«لَيْسَ الْأَعْرَابُ كُلُّهُمْ مَذْمُومِينَ، بَلْ مِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَيَسْلَمُ بِذَلِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ وَيَعْمَلُ بِمُقْتَضَىٰ الْإِيمَانِ، ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: يَحْتَسِبُ نَفَقَتَهُ، وَيَقْصِدُ بِهَا وَجْهَ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَالْقُرَبَ مِنْهُ، وَيَجْعَلُهَا وَسِيلَةً لِصَلَوَاتِ الرَّسُولِ؛ أَيْ: دُعَائِهِ لَهُمْ، وَتَبْرِيكِهِ عَلَيْهِمْ، قَالَ -تَعَالَىٰ- مُبَيِّنًا لِنَفْعِ صَلَوَاتِ الرَّسُولِ: ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ تُقَرِّبُهُمْ إِلَىٰ اللهِ، وَتُنَمِّي أَمْوَالَهُمْ وَتُحِلُّ فِيهَا الْبَرَكَةَ.

﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ﴾ فِي جُمْلَةِ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، فَيَغْفِرُ السَّيِّئَاتِ الْعَظِيمَةَ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ، وَيَعُمُّ عِبَادَهُ بِرَحْمَتِهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ

شَيْءٍ، وَيَخُصُّ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِرَحْمَةٍ يُوَفِّقُهُمْ فِيهَا إِلَىٰ الْخَيِّرَاتِ، وَيَحْمِيهِمْ فِيهَا مِنَ الْمُخَالَفَاتِ، وَيَجْزِلُ لَهُمْ فِيهَا أَنْوَاعَ الْمَثُوبَاتِ»[١].

❊❊❊

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٣٤٩).

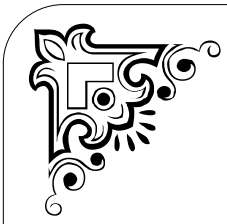

مِنْ أَسْبَابِ رَحْمَةِ اللهِ:
السَّمَاحَةُ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ

مِنْ أَسْبَابِ الرَّحْمَةِ: السَّمَاحَةُ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، فَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا**[١] **إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَىٰ، وَإِذَا اقْتَضَىٰ**»[٢]. وَهَذَا الْحَدِيثُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «الصَّحِيحِ»[٣].

قَالَ الْحَافِظُ رحمه الله **فِي «شَرْحِهِ»**[٤]: «فِيهِ الْحَضُّ عَلَىٰ السَّمَاحَةِ فِي الْمُعَامَلَةِ، وَاسْتِعْمَالُ مَعَالِي الْأَخْلَاقِ، وَتَرْكُ الْمُشَاحَّةِ، وَفِيهِ الْحَضُّ عَلَىٰ تَرْكِ التَّضْيِيقِ عَلَىٰ النَّاسِ فِي الْمُطَالَبَةِ، وَفِيهِ الْحَضُّ عَلَىٰ أَخْذِ الْعَفْوِ مِنْهُمْ».(*).

---

(١) (**سمحا**)، أي: جوادا متساهلا.

(٢) (**إِذَا اقْتَضَىٰ**)، أَيْ: طَلَبَ الَّذِي له علىٰ غيره بِسُهُولَةٍ وَعَدَمِ إِلْحَافٍ.

(٣) «**صحيح البخاري**»: (٤/ ٣٠٦، رقم ٢٠٧٦).

(٤) «**فتح الباري**»: (٤/ ٣٠٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «مِنْ آدَابِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ» - الْأَرْبِعَاءُ ٢ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣١هـ| ١٤-٧-٢٠١٠م.

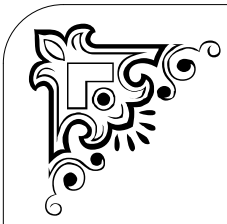

مِنْ أَسْبَابِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللهِ:
زِيَارَةُ الْمَرِيضِ

مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ اسْتِجْلَابِ رَحْمَةِ اللهِ: زِيَارَةُ الْمَرِيضِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ عَادَ مَرِيضًا خَاضَ الرَّحْمَةَ، فَإِذَا جَلَسَ عِنْدَهُ اسْتَقْنَعَ فِيهَا، فَإِذَا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ خَاضَ الرَّحْمَةَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ بَيْتَهُ»**(١).

❀❀❀

(١) أَخْرَجَهُ أحمد (٢٥/ ٨٨، ١٠٧٩٧)، وابن أبي الدنيا في «الكفارات» (٢١٧) عن كعب بن مالك بلفظ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا خَاضَ فِي الرَّحْمَةِ فَإِذَا جَلَسَ اسْتَنْقَعَ فِيهَا» وحسنه الحافظ في «الفتح» (١٠/ ١١٣)، وله شاهد أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٢٢) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا خَاضَ فِي الرَّحْمَةِ، حَتَّىٰ إِذَا قَعَدَ اسْتَقَرَّ فِيهَا»، وصححه الألباني في تعليقه عليه.

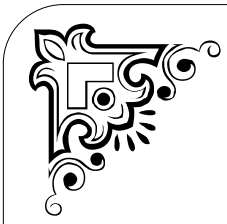

مِنْ سُبُلِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللهِ:
قِيَامُ اللَّيْلِ

مِنَ السُّبُلِ الْعَظِيمَةِ لِنَيْلِ رَحْمَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **قِيَامُ اللَّيْلِ**، قَالَ ﷺ: «**رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّىٰ، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ** -وَالنَّضْحُ: أَنْ تَغْمِسَ أَصَابِعَكَ فِي الْمَاءِ، ثُمَّ تَنْضَحُ هَذَا الْمَاءَ فِي وَجْهِهَا، لَا أَنْ تَأْتِيَ بِالْمَاءِ فَتَجْعَلَهُ عَلَىٰ رَأْسِهَا سَكْبًا!!-، **وَرَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ وَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّىٰ، فَإِنْ أَبَىٰ نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ**»(١). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ مَاجَه، وَالنَّسَائِيُّ.

وَفِيهِ عَلَاقَةٌ شَفِيفَةٌ، فِيهَا الْحِرْصُ، وَفِيهَا الْأُلْفَةُ وَالْمَوَدَّةُ، وَفِيهَا الْأَدَاءُ الْحَسَنُ بِالتَّلَصُّصِ عَلَىٰ سُبُلِ الْمَشَاعِرِ الْمَدْفُونَةِ مِنْ أَجْلِ إِخْرَاجِهَا؛ لِتَزْكُوَ بَعْدُ وَتَزْدَهِرَ.(*).

---

(١) أخرجه أبو داود في «**السنن**»: (٢/ ٣٣ و٧٠، رقم ١٣٠٨ و ١٤٥٠)، والنسائي في «**المجتبىٰ**»: (٣/ ٢٠٥)، وابن ماجه في «**السنن**»: (١/ ٤٢٤، رقم ١٣٣٦)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

والحديث صححه لغيره الألباني في «**صحيح أبي داود**»: (٥/ ٥١، رقم ١١٨١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ: «حُقُوقُ الزَّوْجَةِ» - الْجُمُعَةُ ٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٩هـ| ٥- ٩- ٢٠٠٨م.

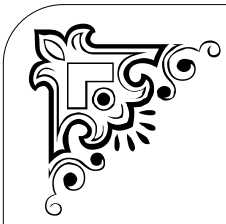

مِنْ أَسْبَابِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللهِ:
صَلَاةُ أَرْبَعٍ قَبْلَ الْعَصْرِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ

مِنَ الْأَسْبَابِ الْجَلِيلَةِ لِنَيْلِ رَحْمَةِ اللهِ: صَلَاةُ أَرْبَعِ رَكْعَاتٍ قَبْلَ الْعَصْرِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**رَحِمَ اللهُ امْرَأً صَلَّىٰ قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا**»(١). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ ﷺ: «**الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَىٰ أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّىٰ فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**»(٢). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

فَاتَّقُوا اللهَ -عِبَادَ اللهِ- وَاحْرِصُوا عَلَى اسْتِجْلَابِ رَحْمَةِ اللهِ بِفِعْلِ مَا تَيَسَّرَ مِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ الْكَثِيرَةِ وَالْمُتَنَوِّعَةِ.. فَهَذِهِ كَانَتْ جُمْلَةً مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَجْلِبُ رَحْمَةَ اللهِ، وَالَّذِي يَنْبَغِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ أَنْ يَأْخُذُوا بِهَا وَيَعْمَلُوا بِمُقْتَضَاهَا؛ لِتَنْزِلَ عَلَيْهِمُ الرَّحَمَاتُ الرَّبَّانِيَّةُ وَالْهِبَاتُ الْإِلَهِيَّةُ.

---

(١) أَخْرَجَهُ أحمد (١٠/ ١٨٨، رقم٥٩٨٠)، وأبو داود (١٢٧١)، والترمذي (٤٣٠) وغيرهم عن مُحَمَّدِ بْنِ مِهْرَانَ الْقُرَشِيُّ، حَدَّثَنِي جَدِّي أَبُو الْمُثَنَّىٰ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ به.
قال ابن القيم في «زاد المعاد» (١/ ٣٠١): «قَدِ اخْتُلِفَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، فَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَعَلَّلَهُ غَيْرُهُ»، وحسنه الألباني في «المشكاة» (١١٧٠).
(٢) أَخْرَجَهُ البخاري (٤٤٥)، ومسلم (٢٧٥٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

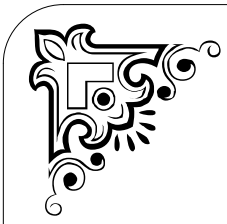

مِنْ آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

لَا يُمْكِنُ لِلْوَاصِفِينَ أَنْ يُعَبِّرُوا عَنْ جُزْءٍ يَسِيرٍ جِدًّا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ الَّتِي بَثَّهَا وَنَشَرَهَا عَلَىٰ الْعِبَادِ، وَأَنْتَ لَوْ تَأَمَّلْتَ الْعَالَمَ بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ؛ لَرَأَيْتَهُ مُمْتَلِئًا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ الْوَاحِدَةِ كَامْتِلَاءِ الْبَحْرِ بِمَائِهِ وَالْجَوِّ بِهَوَائِهِ.

وَمِنْ آثَارِ هَذِهِ الرَّحْمَةِ الَّتِي أَنْزَلَهَا: أَنَّ الدَّابَّةَ تَرْفَعُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ، وَقَدْ أَعْطَاكَ اللهُ -تَعَالَىٰ- مِنَ الرَّحْمَةِ الْوَاحِدَةِ عَطَايَا كَرِيمَةً عَزِيزَةً؛ فَقَدْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ ابْتِدَاءً بِأَجْزَلِ الْمَوَاهِبِ وَأَفْضَلِ الْعَطَايَا؛ مِنْ حُسْنِ الصُّورَةِ، وَكَمَالِ الْخِلْقَةِ، وَقِوَامِ الْبِنْيَةِ، وَإِعْدَادِ الْآلَةِ، وَإِتْمَامِ الْإِرَادَةِ، وَتَعْدِيلِ الْقَامَةِ، وَتَمَامِ الْأَدَاةِ.

وَمَا مَتَّعَكَ مِنْ رُوحِ الْحَيَاةِ، وَفَضَّلَكَ بِهِ مِنْ حَيَاةِ الْأَرْوَاحِ، وَمَا أَكْرَمَكَ بِهِ مِنْ قَبُولِ الْعِلْمِ، وَهَدَاكَ إِلَىٰ مَعْرِفَتِهِ -سُبْحَانَهُ- الَّتِي هِيَ أَسْنَىٰ جَوَائِزِهِ، وَمَنَّ عَلَيْكَ بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ -وَهُمَا أَجَلُّ النِّعَمِ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ- وَالْكَوْنِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَرْحُومَةِ، وَمَنَّ عَلَيْكَ بِمَعْرِفَةِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، إِلَىٰ سَائِرِ مَا لَدَيْكَ مِنَ النِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ.

فَمَرْجُوٌّ مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ أَنْ يُتِمَّ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ مَنْ بَدَا بِالْإِحْسَانِ فَعَلَيْهِ الْإِتْمَامُ، وَيَجْعَلُ لَكَ مِنْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ رَحْمَةً الْحَظَّ الْوَافِرَ.

أَسْأَلُ اللهَ -تَعَالَىٰ- أَلَّا يُخَيِّبَ آمَالَنَا مِنْ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ بِفَضْلِهِ، إِنَّهُ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ الرَّاحِمُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ.

«وَبِرَحْمَتِهِ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ عَرْشِهِ بِاسْمِ الرَّحْمَنِ؛ قَالَ ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]؛ لِأَنَّ الْعَرْشَ مُحِيطٌ بِالْمَخْلُوقَاتِ، قَدْ وَسِعَهَا، وَالرَّحْمَةُ مُحِيطَةٌ بِالْخَلْقِ وَاسِعَةٌ لَهُمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ أَوْسَعِ الْمَخْلُوقَاتِ بِأَوْسَعِ الصِّفَاتِ؛ فَلِذَلِكَ وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، اسْتَوَىٰ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ عَرْشِهِ، وَقَالَ -سُبْحَانَهُ- وَهُوَ الرَّحْمَنُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

فَكَمَا أَنَّ الْعَرْشَ مُحِيطٌ بِالْمَخْلُوقَاتِ، وَهُوَ مِنْ خَلْقِهِ؛ فَرَحْمَتُهُ -تَعَالَىٰ- مُحِيطَةٌ بِالْخَلْقِ وَاسِعَةٌ لَهُمْ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾؛ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ أَوْسَعِ الْمَخْلُوقَاتِ بِأَوْسَعِ الصِّفَاتِ، فَلِذَلِكَ وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ.

وَلَمَّا اسْتَوَىٰ عَلَىٰ عَرْشِهِ بِهَذَا الِاسْمِ: «الرَّحْمَنِ» الَّذِي اشْتَقَّهُ مِنْ صِفَتِهِ وَتَسَمَّىٰ بِهِ دُونَ خَلْقِهِ؛ كَتَبَ بِمُقْتَضَاهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ يَوْمَ اسْتِوَائِهِ عَلَىٰ عَرْشِهِ حِينَ قَضَىٰ الْخَلْقَ.. كَتَبَ كِتَابًا؛ فَهُوَ عِنْدَهُ وَضَعَهُ عَلَىٰ عَرْشِهِ: أَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ.

وَكَانَ هَذَا الْكِتَابُ الْعَظِيمُ الشَّأْنِ كَالْعَهْدِ مِنْهُ -سُبْحَانَهُ- لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا بِالرَّحْمَةِ لَهُمْ، وَالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عَنْهُمْ، وَالْمَغْفِرَةِ وَالتَّجَاوُزِ، وَالسَّتْرِ وَالْإِمْهَالِ، وَالْحِلْمِ وَالْأَنَاةِ؛ فَكَانَ قِيَامُ الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ بِمَضْمُونِ هَذَا الْكِتَابِ، الَّذِي لَوْلَاهُ لَكَانَ لِلْخَلْقِ شَأْنٌ آخَرُ»(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه فِيمَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا»(٢)؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَمَّا قَضَىٰ اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي**».

وَفِي كَوْنِهِ عِنْدَهُ -سُبْحَانَهُ- زِيَادَةُ تَشْرِيفٍ وَتَكْرِيمٍ وَتَعْظِيمٍ وَتَفْخِيمٍ، فَبِرَحْمَتِهِ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولَهُ ﷺ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابَهُ، وَعَلَّمَنَا مِنَ الْجَهَالَةِ، وَهَدَانَا مِنَ الضَّلَالَةِ، وَبَصَّرَنَا مِنَ الْعَمَىٰ، وَأَرْشَدَنَا مِنَ الْغَيِّ، فَشَرْعُهُ وَأَمْرُهُ نَزَلَ بِالرَّحْمَةِ وَاشْتَمَلَ عَلَىٰ الرَّحْمَةِ، وَأَوْصَلَ إِلَىٰ الرَّحْمَةِ الْأَبَدِيَّةِ وَالسَّعَادَةِ السَّرْمَدِيَّةِ.

فَبِنِعْمَتِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ: بِإِرْسَالِ رُسُلِهِ إِلَيْهِمْ، وَإِنْزَالِ كُتُبِهِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْرِيفِهِمْ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَمَا يُحِبُّهُ وَمَا يُبْغِضُهُ؛ أَعْظَمُ النِّعَمِ وَأَجَلُّهَا وَأَعْلَاهَا وَأَفْضَلُهَا، بَلْ لَا نِسْبَةَ لِرَحْمَتِهِمْ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْغَيْثِ وَالنَّبَاتِ إِلَىٰ رَحْمَتِهِمْ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالشَّرَائِعِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَأَيْنَ هَذِهِ مِنْ تِلْكَ؟!!

---

(١) «**مختصر الصواعق**»: (ص٣٦٨-٣٦٩).

(٢) «**صحيح البخاري**»: (٦/ ٢٨٧، رقم ٣١٩٤)، و«**صحيح مسلم**»: (٤/ ٢١٠٧-٢١٠٨، رقم ٢٧٥١).

وَبِرَحْمَتِهِ عَرَّفَنَا أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، فَعَرَفْنَا أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالَهُ، عَرَّفَنَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ ذَلِكَ مَا عَرَفْنَا بِهِ رَبَّنَا وَمَوْلَانَا.

وَبِرَحْمَتِهِ عَلَّمَنَا مَا لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ، وَأَرْشَدَنَا لِمَصَالِحِ دِينِنَا وَدُنْيَانَا، وَبِرَحْمَتِهِ - تَعَالَىٰ- أَدَرَّ عَلَيْنَا النِّعَمَ وَصَرَفَ عَنَّا النِّقَمَ، وَبِرَحْمَتِهِ وُجِدَتِ الْمَخْلُوقَاتُ، وَبِرَحْمَتِهِ حَصَلَتْ لَهَا أَنْوَاعُ الْكَمَالَاتِ، وَبِرَحْمَتِهِ أَطْلَعَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَجَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَبَسَطَ الْأَرْضَ، وَجَعَلَهَا مِهَادًا وَفِرَاشًا، وَكِفَاتًا لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، وَبِرَحْمَتِهِ سَخَّرَ لَنَا الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَالْأَنْعَامَ؛ وَذَلَّلَهَا مُنْقَادَةً لِلرُّكُوبِ وَالْحَمْلِ وَالْأَكْلِ وَالدَّرِّ.

وَمِنْ رَحْمَتِهِ مَا قَالَهُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢]؛ أَيْ: رَحْمَةُ اللهِ بِخَلْقِهِ خَيْرٌ لَهُمْ مِمَّا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَمَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وَمِنْ رَحْمَتِهِ أَنَّهُ لَا يُؤَاخِذُنَا بِالْغَفْلَةِ عَنْ شُكْرِ نِعَمِهِ وَالْقُصُورِ عَنْ إِحْصَائِهَا وَالْعَجْزِ عَنِ الْقِيَامِ بِأَدْنَاهَا، وَمِنْ رَحْمَتِهِ إِدَامَتُهَا عَلَيْنَا وَإِدْرَارُهَا فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَعِنْدَ كُلِّ نَفَسٍ نَتَنَفَّسُهُ وَحَرَكَةٍ نَتَحَرَّكُهَا؛ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

وَمَا أَحْسَنَ مَا خَتَمَ بِهِ هَذَا الِامْتِنَانَ الَّذِي لَا يَلْتَبِسُ عَلَىٰ إِنْسَانٍ؛ بِالْإِشَارَةِ إِلَىٰ عَظِيمِ غُفْرَانِهِ وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]، فَمَا أَحْسَنَ مَا خَتَمَ بِهِ هَذَا الِامْتِنَانَ، الَّذِي لَا يَلْتَبِسُ عَلَىٰ

إِنْسَانٍ؛ بِالْإِشَارَةِ إِلَىٰ عَظِيمِ غُفْرَانِهِ وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَمَا أَوْقَعَ هَذَا التَّذْيِيلَ الْجَلِيلَ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، بَعْدَ امْتِنَانِهِ بِنِعَمِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَهِيَ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، مَا أَوْقَعَ هَذَا التَّذْيِيلَ الْجَلِيلَ وَأَحَبَّهُ إِلَىٰ قُلُوبِ الْعَارِفِينَ بِأَسْرَارِ التَّنْزِيلِ.

وَمِنْ رَحْمَتِهِ مَا قَالَهُ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣].

فَهُوَ مَعَ كَوْنِهِ غَنِيًّا عَنْ خَلْقِهِ؛ فَهُوَ ذُو رَحْمَةٍ بِهِمْ، لَا يَكُونُ غِنَاهُ عَنْهُمْ مَانِعًا مِنْ رَحْمَتِهِ لَهُمْ، وَمَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ الرَّبَّانِيَّ وَأَبْلَغَهُ، وَمَا أَقْوَىٰ الِاقْتِرَانَ بَيْنَ الْغِنَىٰ وَالرَّحْمَةِ فِي هَذَا الْمَقَامِ؛ ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾، فَإِنَّ الرَّحْمَةَ لَهُمْ مَعَ الْغِنَىٰ عَنْهُمْ هِيَ غَايَةُ التَّفَضُّلِ وَالتَّطَوُّلِ.

وَمِنْ رَحْمَتِهِ مَا قَالَهُ لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ لَطَائِفُ؛ مِنْهَا: أَنَّهُ أَكَّدَ ذِكْرَ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِمُؤَكِّدَاتٍ ثَلَاثَةٍ، أَوَّلُهَا: قَوْلُهُ: ﴿أَنِّيٓ﴾، وَثَانِيهَا: ﴿أَنَا﴾، وَثَالِثُهَا: (التَّعْرِيفُ) فِي ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ تَغْلِيبِ جَانِبِ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ وَلَمْ يَقُلْ فِي ذِكْرِ الْعَذَابِ: إِنِّي أَنَا الْمُعَذِّبُ! وَلَمْ يَصِفْ نَفْسَهُ بِذَلِكَ جَلَّوَعَلَا؛ بَلْ قَالَ عَلَىٰ سَبِيلِ الْإِخْبَارِ: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾.

وَأَمَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِرَحْمَتِهِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِغُفْرَانِهِ، فَقَدْ أَتَىٰ بِهِ وَاصِفًا بِهِ نَفْسَهُ مُؤَكِّدًا ذَلِكَ فِي ذِكْرِهِ بِقَوْلِهِ جَلَّوَعَلَا: ﴿أَنِّيٓ﴾، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَنَا﴾، وَكَذَلِكَ

بِـ(التَّعْرِيفِ) فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، فَالْغُفْرَانُ صِفَتُهُ، وَالْمَغْفِرَةُ وَالرَّحْمَةُ صِفَتُهُ جَلَّ وَعَلَا، وَأَمَّا الْعَذَابُ فَقَدْ أَخْبَرَ عَنْهُ، وَلَمْ يَصِفْ نَفْسَهُ بِهِ ﷻ؛ فَلَمْ يَقُلْ: إِنِّي أَنَا الْمُعَذِّبُ! وَإِنَّمَا قَالَ عَلَىٰ سَبِيلِ الْإِخْبَارِ وَلَمْ يَصِفْ نَفْسَهُ بِذَلِكَ: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾.

وَمِنْ رَحْمَتِهِ أَنْ خَلَقَ لِلذَّكَرِ مِنَ الْحَيَوَانِ أُنْثَىٰ مِنْ جِنْسِهِ، وَأَلْقَىٰ بَيْنَهُمَا الْمَحَبَّةَ وَالرَّحْمَةَ لِيَقَعَ بَيْنَهُمَا التَّوَاصُلُ الَّذِي بِهِ دَوَامُ التَّنَاسُلِ، وَانْتِفَاعُ الزَّوْجَيْنِ، وَتَمَتُّعُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ.

وَمِنْ رَحْمَتِهِ أَحْوَجَ الْخَلْقَ بَعْضَهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ لِتَتِمَّ بَيْنَهُمْ مَصَالِحُهُمْ، وَلَوْ أَغْنَىٰ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ لَتَعَطَّلَتْ مَصَالِحُهُمْ وَفَسَدَ نِظَامُهُمْ.

وَمِنْ رَحْمَتِهِ بِهِمْ أَنْ جَعَلَ فِيهِمُ الْغَنِيَّ وَالْفَقِيرَ، وَالْعَزِيزَ وَالذَّلِيلَ، وَالْعَاجِزَ وَالْقَادِرَ، وَالرَّاعِيَ وَالْمَرْعِيَّ، ثُمَّ أَفْقَرَ الْجَمِيعَ إِلَيْهِ، ثُمَّ عَمَّ الْجَمِيعَ بِرَحْمَتِهِ.(*).

اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَوْصُوفٌ بِكَمَالِ الرَّحْمَةِ وَسَعَةِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، وَكَثْرَةِ الْمَوَاهِبِ وَالْحَنَانِ وَالرَّأْفَةِ.

فَجَمِيعُ مَا فِيهِ الْعَالَمُ الْعُلْوِيُّ وَالسُّفْلِيُّ مِنْ حُصُولِ الْمَنَافِعِ وَالْمَحَابِّ وَالْمَسَارِّ وَالْخَيْرَاتِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْهُ وَمِنْ رَحْمَتِهِ وَجُودِهِ وَكَرَمِهِ وَفَضْلِهِ، كَمَا أَنَّ مَا

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ يَسِيرٍ مِنْ سِلْسِلَةِ: «مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّالِثَةُ) - الْأَحَدُ ١٣ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٣هـ| ٣-٦-٢٠١٢م.

صُرِفَ عَنْهُمْ مِنَ الْمَكَارِهِ وَالنِّقَمِ وَالْمَخَاوِفِ وَالْأَخْطَارِ وَالْمَضَارِّ؛ فَإِنَّهَا مِنْ رَحْمَتِهِ وَبِرِّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا هُوَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا هُوَ.

وَرَحْمَتُهُ -تَعَالَىٰ- سَبَقَتْ غَضَبَهُ وَغَلَبَتْهُ، وَظَهَرَتْ فِي خَلْقِهِ ظُهُورًا لَا يُنْكَرُ، حَتَّىٰ مَلَأَتْ أَقْطَارَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَامْتَلَأَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ حَتَّىٰ حَنَّتِ الْمَخْلُوقَاتُ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ الَّتِي نَشَرَهَا عَلَيْهِمْ وَأَوْدَعَهَا فِي قُلُوبِهِمْ، وَحَتَّىٰ حَنَّتِ الْبَهَائِمُ -الَّتِي لَا تَرْجُو نَفْعًا وَلَا عَاقِبَةً وَلَا جَزَاءً- عَلَىٰ أَوْلَادِهَا، وَشُوهِدَ مِنْ رَأْفَتِهَا بِهِمْ وَشَفَقَتِهَا الْعَظِيمَةِ مَا يَشْهَدُ بِعِنَايَةِ بَارِيهَا وَرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ، وَعَمَّتْ مَوَاهِبُهُ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَيَسَّرَ لَهُمُ الْمَنَافِعَ وَالْمَعَايِشَ وَالْأَرْزَاقَ وَرَبَطَهَا بِأَسْبَابٍ مُيَسَّرَةٍ وَطُرُقٍ سَهْلَةٍ، فَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا.

وَعَلِمَ -تَعَالَىٰ- مِنْ مَصَالِحِهِمْ مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَقَدَّرَ لَهُمْ مِنْهَا مَا لَا يُرِيدُونَ، وَمَا لَا يَقْدِرُونَ، وَرُبَّمَا أَجْرَىٰ عَلَيْهِمْ مَكَارِهَ تُوصِلُهُمْ إِلَىٰ مَا يُحِبُّونَ، بَلْ رَحِمَهُمْ بِالْمَصَائِبِ وَالْآلَامِ فَجَعَلَ الْآلَامَ كُلَّهَا خَيْرًا لِلْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقُومُ بِوَظِيفَةِ الصَّبْرِ، **«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ»**(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ رِوَايَةِ صُهَيْبٍ ﷺ، وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ.

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٩٩٩)، مِنْ طَرِيقِ: عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَىٰ، عَنْ صُهَيْبٍ، بِهِ.

وَكَذَلِكَ ظَهَرَتْ رَحْمَتُهُ فِي أَمْرِهِ وَشَرْعِهِ ظُهُورًا تَشْهَدُهُ الْبَصَائِرُ وَالْأَبْصَارُ، وَيَعْتَرِفُ بِهِ أُولُوا الْأَلْبَابِ، فَشَرْعُهُ نُورٌ وَرَحْمَةٌ وَهِدَايَةٌ، وَقَدْ شَرَعَهُ مُحْتَوِيًا عَلَىٰ الرَّحْمَةِ، وَمُوصِلًا إِلَىٰ أَجَلِّ رَحْمَةٍ وَكَرَامَةٍ وَسَعَادَةٍ وَفَلَاحٍ، وَشَرَعَ فِيهِ مِنَ التَّسْهِيلَاتِ وَالتَّيْسِيرَاتِ وَنَفْيِ الْحَرَجِ وَالْمَشَقَّاتِ مَا يَدُلُّ أَكْبَرَ دَلَالَةٍ عَلَىٰ سَعَةِ رَحْمَتِهِ وَجُودِهِ وَكَرَمِهِ، وَمَنَاهِيهِ كُلُّهَا رَحْمَةٌ؛ لِأَنَّهَا لِحِفْظِ أَدْيَانِ الْعِبَادِ، وَحِفْظِ عُقُولِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ مِنَ الشُّرُورِ وَالْأَضْرَارِ، فَكُلُّ النَّوَاهِي تَعُودُ إِلَىٰ هَذِهِ الْأُمُورِ.

وَأَيْضًا الْأَوَامِرُ سَهَّلَهَا وَأَعَانَ عَلَيْهَا بِأَسْبَابٍ شَرْعِيَّةٍ وَأَسْبَابٍ قَدَرِيَّةٍ، وَذَلِكَ مِنْ تَمَامِ رَحْمَتِهِ، كَمَا أَنَّ النَّوَاهِيَ جَعَلَ عَلَيْهَا مِنَ الْعَوَائِقِ وَالْمَوَانِعِ مَا يَحْجِزُ الْعِبَادَ عَنْ مُوَاقَعَتِهَا إِلَّا مَنْ أَبَىٰ وَشَرَدَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ خَيْرٌ بِالْكُلِّيَّةِ.

وَشَرَعَ -أَيْضًا- مِنَ الرَّوَادِعِ وَالزَّوَاجِرِ وَالْحُدُودِ مَا يَمْنَعُ الْعِبَادَ وَيَحْجِزُهُمْ عَنْهَا، وَيُقَلِّلُ مِنَ الشُّرُورِ شَيْئًا كَثِيرًا.

وَبِالْجُمْلَةِ؛ فَشَرْعُهُ وَأَمْرُهُ نَزَلَ بِالرَّحْمَةِ، وَاشْتَمَلَ عَلَىٰ الرَّحْمَةِ، وَأَوْصَلَ إِلَىٰ الرَّحْمَةِ الْأَبَدِيَّةِ وَالسَّعَادَةِ السَّرْمَدِيَّةِ.(*).

اللَّهُمَّ خُذْ بِأَيْدِينَا إِلَيْكَ، وَأَقْبِلْ بِقُلُوبِنَا عَلَيْكَ.

وَتُبْ عَلَيْنَا لِنَتُوبَ، تُبْ عَلَيْنَا لِنَتُوبَ، تُبْ عَلَيْنَا لِنَتُوبَ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ فَتْحِ الرَّحِيمِ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ» (الْمُحَاضَرَة ٢)، الأربعاء ٢٢ من رمضان ١٤٣٤هـ الموافق ٣١-٧-٢٠١٣م.

اللَّهُمَّ يَا وَاصِلَ الْمُنْقَطِعِينَ أَوْصِلْنَا إِلَيْكَ، وَلَا تَقْطَعْنَا بِالْأَغْيَارِ عَنْكَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ارْحَمْنَا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ارْحَمْنَا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ارْحَمْنَا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ارْحَمْنَا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ارْحَمْنَا.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «وَلِلظَّالِمِينَ أَمْثَالُهَا».

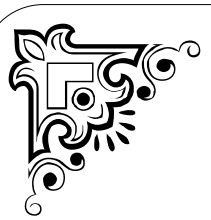

الفِهْرِسُ

الْمُقَدِّمَةُ..... ٣

اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ..... ٤

رَجَاءُ رَحْمَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَعَدَمُ الْقُنُوطِ مِنْهَا..... ١٢

مِنْ أَعْظَمِ صِفَاتِ نَبِيِّنَا وَأُمَّتِهِ ﷺ الرَّحْمَةُ..... ٢٤

الرَّحْمَةُ مِنْ أَسْمَىٰ غَايَاتِ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ..... ٣٢

سُبُلُ اسْتِمْطَارِ رَحَمَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى..... ٣٦

مِنْ سُبُلِ اسْتِمْطَارِ رَحَمَاتِ اللهِ: التَّوْبَةُ وَالدُّعَاءُ وَالتَّأَلُّهُ للهِ جَلَّ وَعَلَا..... ٣٩

مِنْ سُبُلِ اسْتِمْطَارِ رَحَمَاتِ اللهِ: الْإِيمَانُ وَتَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ..... ٤١

مِنْ سُبُلِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللهِ: الْإِخْلَاصُ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى..... ٤٣

مِنْ سُبُلِ اسْتِمْطَارِ رَحَمَاتِ اللهِ: اتِّبَاعُ كِتَابِ اللهِ وَالْعَمَلُ بِهِ..... ٤٥

مِنْ أَسْبَابِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللهِ: طَاعَةُ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ .. ٤٩

مِنْ أَسْبَابِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللهِ: الِاسْتِغْفَارُ..... ٥٤

مِنْ أَسْبَابِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللهِ: الْإِحْسَانُ..... ٥٦

مِنْ أَسْبَابِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللهِ: الْإِيمَانُ وَالْهِجْرَةُ وَالْجِهَادُ ٥٩
مِنْ سُبُلِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللهِ: خَشْيَةُ اللهِ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ..... ٦٢
مِنْ أَسْبَابِ اسْتِمْطَارِ رَحَمَاتِ اللهِ: الصَّبْرُ عِنْدَ الْبَلَاءِ..... ٦٤
مِنْ سُبُلِ نَيْلِ رَحَمَاتِ الرَّحْمَنِ: الْقِيَامُ بِحُقُوقِ الْمُؤْمِنِينَ ٦٨
مِنْ سُبُلِ اسْتِمْطَارِ رَحَمَاتِ اللهِ: رَحْمَةُ الْمَخْلُوقَاتِ..... ٦٩
مِنْ أَسْبَابِ رَحْمَةِ اللهِ: الْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللهِ..... ٨٤
مِنْ أَسْبَابِ رَحْمَةِ اللهِ: السَّمَاحَةُ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ..... ٨٦
مِنْ أَسْبَابِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللهِ: زِيَارَةُ الْمَرِيضِ..... ٨٧
مِنْ سُبُلِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللهِ: قِيَامُ اللَّيْلِ..... ٨٨
مِنْ أَسْبَابِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللهِ: صَلَاةُ أَرْبَعٍ قَبْلَ الْعَصْرِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ ٨٩
مِنْ آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى..... ٩٠
الْفِهْرِسُ ٩٩